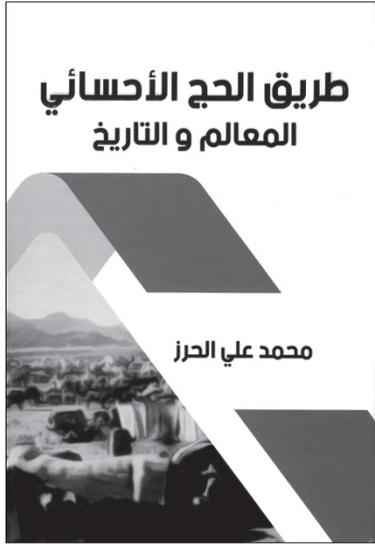


«تعريف بكتاب»

طريق الحجّ الأحسائي (٣)

إدارة التحرير



نظراً لمنهج مجلة «مقامات الحجّ»، وعنايتها بالشؤون الثقافية والتاريخية والسياسية والاجتماعية للحجّ ودائرته المباركة...، فتحت بابها لا فقط لاستقبال ما يتفضل به الكتاب، ويبادر به العلماء والمحققون من بحوث ومقالات من



أفكار وآراء حول عنايتها المذكورة، وإن لم تكتفِ بانتظار ما تجود به معرفتهم وأناملهم، بل راحت إدارتها تسمع وتقرأ وتلاحق ما يكتب هنا وينشر أو يُلقى هناك؛ ما دام يصبُّ في دائرتها المعرفية؛ لإعطائه مساحة مناسبة في المجلة، حرصاً منها في إغناء مكتبتها الخاصة وتراثها المعرفي، ومشاركةً منها في نشر ما تصبو إليه من أهداف كبيرة؛ تتمدد على مساحة واسعة من الحرمين المباركين مكة المكرمة والمسجد النبوي وما حولهما من طرق وأماكن ومواقع.

إنّ هذا الكتاب «طريق الحج الأحسائي» لمؤلفه سماحة الشيخ محمدعلي الحرز، كتاب جيد لما تتوفر فيه من أهمية تاريخية وفوائد ميدانية ومعرفة لحدود هذا الطريق ومعالمه، وقديماً كان هذا طريقاً للحجاج الإيرانيين.

فطوبى لمؤلفه الشريف، الذي تحمّل كثيراً من المعاناة؛ لإيجاد هذا السفر القيم، نسأله تعالى أن يؤجره أجراً كبيراً، ويؤجر سماحة الشيخ حسين الواصل، الذي اقترح أن يحتلّ هذا الكتاب مكانته في هذه المجلة.

جاء في مقدمة البحث:

«طالما راودتني فكرة التطرّق لموضوع الحج الأحسائي من الناحية التاريخية؛ والتعريف بالعلاقة الكبيرة بين الأحساء وبلاد الحجاز، وأهم الطرق التي يسلكونها في المسير لأداء فريضة الحج، والعقبات التي تواجه الحاج الأحسائي تحديداً من صعوبات ومعوّقات، حاله حال الكثير من الحجاج في مختلف المنافذ المتجهة إلى مكة المكرمة، نظراً للتغافل الكبير من المهتمين بتاريخ الحج وطرق الحاج، وذلك لصعوبة البحث وندرة المصادر التي تناولت معالم هذه الطرق.

لذا اكتفى معظم الباحثين بتناول الطرق المشهورة والمعروفة؛ مثل الشامي والعراقي



والمصري واليميني والعماني وغيرهم، دون تجاوز هذه العتبة خشيةً من وعورة الطريق والبحث في هذه النقطة المعتمدة...».

الكلمات المفتاحية:

المصاعب والعناية بطريق الحجّ الأحسائي، الجهود المبذولة في تأمين الحجّ، معالم طريق الحجّ الأحسائي، بيان بعض المصطلحات القديمة، العوامل المؤثرة في تحديد طريق الحجّ، الطرق المباشرة إلى مكة المكرمة، طرق ومنازل الحاجّ من الأحساء إلى مكة المكرمة . . .

... الفصل الثاني: المصاعب والعناية بطريق الحجّ الأحسائي

مصاعب ومخاطر طريق الحج:

يصادف الحاج في رحلته العبادية لأداء فريضة الحج مجموعة من العقبات والتحديات، تبدأ من أول مرحلة من مراحل الحج وهي الاستعداد، ولا تنتهي إلا بعودته عند باب داره في أرض الوطن.

هذا الأمر هو ما يجعله في حالة توتر شديد وقلق كبير لا يفارقه، وهنا نورد عدد من هذه الصعوبات والتحديات التي يشهدها طريق الحج نذكرها بإيجاز، لنستشعر طبيعة الرحلة الإلهية وما يكتنفها والحالة النفسية التي يعيشها الحاج في حالة تجمع بين الفرح والسعادة التي لا توصف وهو يستشعر أنه في طريقه لأداء شعيرة إلهية عظيمة قد وفقه الله لأدائها، وبين الشعور بالخوف والقلق أنه لا يسلم على حياته فضلاً عن سرقته من قبل قطاع الطرق، وبالتالي قد لا يرجع لأهله ووطنه سالمًا.

وهذه المصاعب المؤرقة يمكن تلخيصها في التالي:



١- الانفلات الأمني:

الهاجس الأمني والخوف على الأرواح من أكثر الأمور التي عانى منها الحاج من مختلف المناطق وطرق الحج المتعددة، بلغ درجة أن تتخلف بعض المناطق عن الحج لسنوات إذا علمت بفقد الأمن ووجود قُطَاع الطرق في الطريق، حتى لقد بلغ إيذاء الحاج في بعض السنوات منتهاه، حتى أنه ينقل عن العلامة الشيخ محمد الرملي الشافعي (القرن العاشر).^١

- بسبب ما لاقاه من شدة وأذى والمشقة أفتى بعدم وجوب الحج في هذه الأزمنة.^٢
- طالما فيه خطر على النفس البشرية. ففي سنة ١١٤٢ هـ، هجم بعض قُطَاع الطرق من قبيلة مطير على الحاج الأحسائي في منطقة الحنو.^٣
- وقتلوا منهم وسلبوهم بعدما أخذوهم للحسوة.^٤ - وهي منطقة تقع في جنوب شرق المدينة المنورة، وتبعد عن مدينة ينبع البحر حوالي ٣٥٠ كيلومتر كما تعتبر داخل حدود منطقة المدينة المنورة، وسكانها غالبهم من قبيلة مطير، وشيوخها منهم.

مجزرة ابن حثلين لحاجّ الأحساء:

من الشواهد التاريخية التي تبين حجم المأساة التي يعاني منها الحاج ومستوى القسوة التي مارسها لصوص الحاجّ وامتلاكهم قلوب هي إلى الحجارة أقرب، بلا رحمة ولا شفقة.

١. هو الشيخ شمس الدين بن شهاب الدين الرملي المنوفي المصري الأنصاري المشهور بالشافعي الصغير من علماء القرن العاشر الهجري، ولقبه البعض بمجدد القرن العاشر.
٢. أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، مصدر سابق: ٧٢٦:١.
٣. تاريخ الفاخري، مصدر سابق: ١٢٧.
٤. تاريخ ابن لعبون، مصدر سابق: ١٥٤.



ففي حوادث سنة ١٢٦١هـ، وهي الحقبة التي كانت الأحساء خاضعة للدولة السعودية الثانية، أقبل حاجٌ كثيرٌ من الأحساء والبحرين والقطيف، ومن أهل سيف البحر، ومعهم عجم كثير، فرصد لهم في الطريق فلاح بن حثلين رئيس العجمان، ومعهم أناس من عربان سبيع، وكان حزام بن حثلين مع الحاج، فشنوا عليهم غارة، شردوا من الحاج نحواً من نصفه، وذلك من سرِّ قدرة الله وتدبيره، وقد مات فيها خلق كثير، بينما أسر البعض الآخر.

فاستنفر الإمام فيصل بن تركي جيشه فركب من الرياض آخر ذي القعدة^١، وقد استنفر معه القبائل المختلفة وأصبح يطارده فلما سمع ابن حثلين بذلك لجأ إلى بني خالد عدوان الإمام فيصل، ولكن لما وجدوا عظم الأمر ذهب أعيانهم وشيوخهم ألا يأخذ البريء بالمسيء، وتمَّ طرد ابن حثلين وبقي مشرّداً يبحث عن ملجأ، حتى تمَّ القبض عليه سنة ١٢٦٢هـ، واعتقاله وأخذه إلى قصر الكوت عند أحمد السديري الذي قام بإعدامه بقطع رأسه^٢.

وهذه الحادثة تؤكد - رغم الصعوبات التي تكتنف طريق الحج - بأن الوفود السائرة للحج من خلال عبوره تعدّ كبيرة نسبياً، لأنها تجمع الحاج من الأحساء والقطيف والبحرين ومناطق الساحل سواء من قطر أو عمان، ويتبعهم القادمون عبر البحر من أهل الفرس والهند، وهي تحمل معه الغنائم والأموال التي أرادوا بها الكفاية لأداء فريضة الحج والعودة إلى أوطانهم، خاصة وأن الرحلة قد تستغرق عند البعض من المناطق البعيدة قرابة النصف سنة بعيداً عن أهله ووطنه.

وفي سنة ١٣١٠هـ، نشطت بعض القبائل من أهل البادية لسرقة الحاج وسلبهم. وتجمع منهم أكثر من ٣٠٠ رجل، بتمردٍ خطيرٍ فهاجموا قافلة مسافرة من المهفوف إلى

١. عنوان المجد في تاريخ نجد، مصدر سابق ٢: ٢٣٣.

٢. م. ن، ٢: ٢٣٧.



العقير في حراسة فرقة تركية من ٢٥ جندي فقتلوا ١٥ منهم وجرحوا ١٠، وحملوا معهم ٥٠ ألف روبية نقداً وما قيمته ٢٠ ألف من البضائع، كما نهبوا أيضاً ٤٠ حاجاً كانوا مسافرين بصحبه القافلة وبدأت حوادث سرقات عديدة،^١ وهي بلا شك تشمل وفود الحجاج القادمين عبر الميناء وكذلك القوافل التجارية.

٢- قلة الماء والآبار:

من العوامل المؤثر في اختيار الطريق من عدمه، أو كثرة العبور من خلاله أو تركة، وفرة الماء ووجود الآبار في الطريق، وهنا يأتي دور الأمير وقائد الرحلة في معرفة الطرق وتمتعها بهذه الخاصية أو لا، لذا يستعان في مثل هذه الرحلات بالدليل الخبير بالصحراء من رجال البادية، حيث يتولى قيادة الرحلة وانتقاء الطرق المناسبة.

فالحاج في رحلته الشاقة والطويلة والتي تستغرق في الغالب حدود ٢٥ يوماً؛ ستة من الأحساء إلى الرياض، و ١٨ يوماً من الرياض إلى مكة المكرمة، والتي قد تصل إلى شهر بعض الأحيان، يكون في أمس الحاجة إلى التزوّد بالماء خلال الطريق، خاصة عندما يكون الموسم في فصل الصيف الذي يشتد فيه العطش، وتظماً الدواب، بل وينفق بعضها بسبب العطش والتعب، وفي هذا الحالة نجد الدليل ينتقي الطرق والمنازل التي تتوفر فيها الآبار والكلأ وإن أدى ذلك إلى طول الطريق وبعُد المسافة.

ففي سنة ٨٣٣هـ، أصاب الحاج المصري بين (الإزم) و(ينبع)، شدة عظيمه من الحرّ والعطش، مات فيها ثلاثة آلاف نفس، ويقال خمسة آلاف.^٢

١. الشبانات، سعد بن عبد العزيز، الصّمان بحوث وتحقيقات ميدانية وتاريخية لمنطقة الصّلب والصّمان، تقديم حمد الجاسر، دار عالم الكتب، الرياض، ط ٢، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م ١: ١٤٣.

٢. إتحاف الوري بأخبار أم القرى، مصدر سابق ٤: ٥٠.



وفي السنة التالية عام ٨٣٤هـ، توفي العديد من الرجال والنساء ممن هلك بالعطش من الحاج فدفن منهم بالآلاف.^١

ومن هنا تأتي أهمية معرفة الدليل وخبرته بمخارج الطريق وأماكن الآبار والمسافات طويلاً وقصراً، فالأرواح تكون معلقة بين يديه، والخطأ هنا يعني موت الحاج والدخول في متاهات قد لا يؤمن عواقبها.

وقد نقل في التاريخ الأحسائي الشفهي، موت بعض الحاج بسبب الضياع، وقلة الماء، إما لعدم وجود آبار أو لجفاف المياه منها، وهذا يشكل تحدي كبير لقافلة الحاج ومصدر قلق لا يمكن التهاون فيه.

٣- طول الطريق:

خمسة وعشرون يوماً من السير على ظهر الإبل، أو سيراً على الأقدام، في رحلة مليئة بالتعب ومحفوفة بالعناء وقسوة الحياة، ومصحوبة بالكثير من المخاطر، من وحوش الصحراء كالذئاب والعقارب والثعابين تارة وقطاع الطرق أصحاب القلوب البشعة والقاسية تارة أخرى.

فإذا أخذنا في الاعتبار وجود عدد غير قليل من كبار السن والنساء ضمن ركب الحاج، ندرك مدى المشقة والصعوبة في هذه الرحلة، وأنها تستغرق وقتاً طويلاً بسبب المراعاة لأضعف الحاج، كما قد يختار أمير الحاج طريقاً أبعد، عندما يجد أن الطريق القريب يتخلله بعض المخاطر كوجود قطاع طرق ترتبص بالمارين فيه، أو تفشي المرض بين عموم الحجاج، أو خلّوه من الآبار والمياه، في وقت تكون القافلة في أمس الحاجة لها، لذا قد تطول الرحلة إلى ٤٠ يوماً لمثل هذه العوامل وغيرها.

فإذا أضفنا عملية الحج وطقوسه وما يتخللها من مشقة عطفاً على قوله تعالى:



﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾^١ وبما فيها من طواف وسعي ورمي جمرات ووقوفين بعرفات والمشعر الحرام، ندرك جيداً حجم المشقة التي يعيشها الحاج والوقت الذي يستغرقه عمل المناسك، ثم تبدأ الرحلة إلى المدينة المنورة، وأخيراً خط العودة والذي لا يقل خطورة وصعوبة عن رحلة الذهاب، مما يجعل الرحلة في مجموعها قد تستغرق بين ثلاثة إلى أربعة أشهر.

من خلال كل هذا ندرك خطورة الأمر ومدى كلفته على العجزة من النساء وكبار السن في رحلة طويلة يكتنفها المشقة والتعب في جميع مراحلها.

٤- ضعف الدراية بطرق الحج المناسبة:

واحدة من أهم صفات أمير الحاج وقائد الرحلة، هو درايته بالطرق المختلفة المؤدية إلى الديار المقدسة، وهذه تتكوّن نتيجة خبرة طويلة وسفريات متعدد (متعددة) إلى الحجاز يتعرّف فيها على معالم الطريق وصعوباته ومميزات كل طريق منها، أو لا أقلّ يوجد حوله من يمتلك هذه الدراية.

لذا يتجنب عن قيادة الحاج من ليس له خبرة بالطرق أو من يتصف بالعناد والاستبداد بالرأي، وقد وقعت حادثة لحاجّ الأحساء نتيجة عدم امتلاك أمير الحاج لمثل هذه الخبرة والحكمة.

فقد تمّ تنصيب الأمير محمد المحاري (المحايي) أميراً على الحاجّ الأحسائي من قبل أمير الأحساء الشيخ سليمان بن محمد بن عريعر الخالدي سنة ١١٤٢ هـ، ولم يكن بذئ خبرة في إدارة الأمور مما جعله لقمة سائغة لقطّاع الطرق من قبيلة مطير، وتسبّب في إحداث مجزرة في الحاجّ قرب منطقة الحنو،^٢ وقد سبق الإشارة لهذه الحادثة في الصفحات السابقة.

١. سورة آل عمران: ٩٧.

٢. عنوان المجد في تاريخ نجد، مصدر سابق ٢: ٣٧٢.



٥- تفشي الأمراض والأوبئة الفتاكة:

نتيجةً لضعف الرعاية الصحيّة لدى الحجاج القادمين من مختلف الأقطار الإسلامية بسبب الفقر وقلة الأطباء، فكثير ما يأتي بعض الحجاج وهم محملين بالأمراض والأوبئة، ناهيك عن الحالة العامّة نتيجة للازدحام وقلة النظافة في الوضع العام سبباً في تفشي الأمراض في صفوف الحجاج.

وقد ذكر التاريخ العديد من الأمراض التي انتشرت بين الحجيج؛ ففي سنة ٨٣٧هـ، انتشر وباء في اليمن ووصل إلى مكة المكرمة في شهر شعبان، فكان يموت في كلِّ يوم خمسين^١.

وفي رحلة داود السعدي إلى الحجّ مع حاجّ الأحساء سنة ١٣٨٨هـ، أرخ تفشي مرض «الكوليرا» بين الحاجّ فقال:

«يوم الأربعاء ومنها إلى قرب (رابغ)^٢ رعباً فقط، واعتري الحاج علة القوليرا (الهيضة)^٣، ومات سبعة أشخاص، وذكر عند وصولهم (رابغ) وهي بلدة معمورة، وفيها مات عشرة نفر، وعبد حبشي للسعدي».

١. إتحاف الوري بأخبار أمّ القرى، مصدر سابق ٤: ٧٠.

٢. رابغ: هي إحدى محافظات منطقة مكة المكرمة وهي مدينة قديمة تقع على ساحل البحر الأحمر في إقليم تهامة، تبعد عن جدة حوالي ١٤٠ كيلومتر في اتجاه الشمال، يحدها من الشمال منطقة المدينة المنورة، ومن الجنوب محافظة جدّة، ومن الشرق منطقة المدينة المنورة ومحافظة خليص، يقطعها طريق دولي إلى جزئين شمالي وجنوبي، وكانت قديماً من ديار بني ضمرة من قبيلة كنانة، بها ميقات (الجحفة) وهو ميقات لأهل مصر والشام. البلادي، د. عاتق بن غيث، معجم معالم الحج، دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، الطبعة الثانية، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م: ٦٥٤.

٣. يعني الكوليرا (الهيضة): والكوليرا، والتي تعرف أحياناً باسم الكوليرا الآسيوية أو الكوليرا البوابية، هي من الأمراض المعوية المعدية التي تُسببها سلالات جرثوم ضمة الكوليرا المنتجة للذيفان المعوي. وتنتقل الجرثومة إلى البشر عن طريق تناول طعام أو شرب مياه ملوثة بكتيريا ضمة الكوليرا من مرضي كوليرا آخرين.



وتعدّ هذه الحالة من عشرات الحالات التي تحدث موسميّاً في الحج حيث انتشر الأمراض والأوبئة المعدية التي تفتك بحياة مئات الحجاج في ظلّ قلّة المعالجات وهشاشة الوضع الطبي وضعف الثقافة الصحية لدى غالبية الحجاج.

٦- ارتفاع الأسعار والمعيشة في الديار المقدسة:

تضطرب الأسعار في موسم الحج فلا تكون الأسعار في مكة مستقرة أو على حال واحد، ففي بعض السنوات كان الغلاء في الحجاز قد أخذ منتهاه، مع وجود قلّة ذات اليد والحاجة في صفوف الحجاج، نتيجة لكلفة السفر ومؤنته، مما يجعلهم في أضعف أحوالهم عند وصولهم لمكة المكرمة.

وقد ذكرت المصادر التاريخية العديد من هذه الحالات، ففي أحداث سنة ٨٣١هـ، يذكر بن فهد المكي عن أحداثها قائلاً: «وفيها اشتد الغلاء بمكة المشرفة لعدم المطر فيها»^١ وهذا نموذج وشكل من أشكال الغلاء، وإلا دواعي الغلاء كثيرة ومتعدّدة الأسباب، من بينها قلة البضائع التي عادة ما يجلبها بعض الحجاج معهم من بلدانهم، أو انخفاض العطايا التي يقدمها أمراء الحجاج لفقراء البيت الحرام.

وقد يطال الغلاء الماء لشحته وقلّة الأمطار ففي سنة ٨٣٤هـ، قلّ الماء بمكة في موسم الحج حتى بيعت الراوية بمكة أيام الصعود إلى عرفة بأغلى الأثمان.^٢

٧- الصراعات السياسية في المنطقة:

الصراع السياسي في المنطقة له تأثير مباشر على الحجاج وسلامتهم سواء في بلاد الحجاز مكة والمدينة أو في مراحل الطريق المختلفة، وفي الغالب عند نشوب أي صراع

١. إنحاف الورى بأخبار أم القرى، مصدر سابق ٤: ٢٧ .



بين أطراف سياسية تنعكس سلباً على الحاجّ، لما يترتب عليه من الفوضى، وانحلال عقد الأمن والسلام، فكان اللصوص والاستقلاليون يستفيدون من مثل هذه الحقب الزمنية لصالحهم والنيل من الحجّاج وسلب ممتلكاتهم أو فرض الضرائب عليهم.

كما أنّ مكة المكرمة نفسها كثيراً ما تحدث فيها صراعات بين أقطاب الحكم من الأشراف، أو مواكب الحجّ الكبيرة القادمة كموكب الحجّ المصري والشامي والعراقي وغيرها.

وقد رصد التاريخ العديد من الصراعات التي كانت تشب بين مواكب الحج المختلفة بسبب خلاف بين الحاجّ، أو نزاع نتيجة الرغبة في محلّ نزول الركب وقافلة الحجّ، وقد تكبر المشكلة إذا كانت بين طرفين من كبار موكب الحج كالشامي والعراقي والمصري، والتي تكون بأعداد كبيرة.

هذه الأمور تنعكس على الحجّاج وقد يتسبب في فوضى عارمة تنال أطرافاً كثيرةً من الحجّاج ممن لم يكن طرفاً في المشكلة ولكن أصابه شررها.

٨ - الضرائب التي تفرضها القبائل على الحاج:

في المراحل المتعددة التي يسير فيها الحاج من الأحساء مكة المكرمة، يدخل خلال الرحلة في أراضي عدد من القبائل العربية المختلفة، منهم من ينظر إلى الحاجّ على أنهم وفد الله وضيوفه، وفي خدمتهم مكرمة عظيمة وأجر كبير فيتسابقون على ضيافتهم وتسهيل رحلتهم عبر أراضيهم بل توفير الحماية لهم وتزويدهم بالمؤن والمساعدات المختلفة، كما أنهم يتبادلون السلع والمنتجات والمحاصيل تجارياً معهم مما يشعر الحاج بالراحة والارتياح.

في المقابل هناك عدد من القبائل تنظر إلى الحاجّ أنه وسيلة من وسائل الغنى وجمع المال عبر سنّ وفرض الضرائب الثقيلة على الحجّاج، والتي تكون مجحفةً في حقهم،



مقابل سلامتهم وأمنهم عند عبورهم من أراضيهم، وهي في العادة تكون مبالغ باهظة وفوق طاقة الحاج، وتكرر في عدة أراضي مما يجعل الحاج يفقد كل ممتلكاته ومدخراته في رحلة الحج قبل وصوله إلى الديار المقدسة.

وقد عانى الحجاج الأحسائيون من القبائل العربية التي كانت تشكل رعباً وهاجساً خيفاً نتيجة التجارب المختلفة التي مروا بها خلال سنينه من هذه القبائل من القتل والسلب الذي زُهِقت فيه الأرواح في عمليات بشعة في حوادث بقيت محفورة في الذهنية الأحسائية لفترات زمنية طويلة.

وفي الختام علينا أن ندرك إن الحجَّ رحلة بقدر ما فيها من فرحة عظيمة عند الحاجِّ وفوز كبير لا يوصف، فإنها مقترنة بأشكال متنوعة من الصعوبات والمخاطر استطاع الحاج الأحسائي أن يتخطاها ويؤدي فرضه امتثالاً لأمر الله تعالى. حيث يقول جلَّ من قائل: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾^١.

الجهود المبذولة في تأمين طريق الحج:

إنَّ المتبَّع لحركة الحاج الدؤوبة أثناء مروره على كثير من المنازل والهجر والقرى المتآخمة لطريق سيره نحو مكة المكرمة يلحظ مدى الجهود التي بذلت تباعاً لتأمين الطرق والمسالك، وهذه الجهود يمكن لنا استشفافها من خلال رصدنا لطرق الحج المختلفة، وهي على النحو التالي:

١- الحراسة المشددة:

استمر الاهتمام البالغ والعناية الفائقة بطريق الحاج حتى أصبح من ضمن أولويات الدول المتعاقبة على حكم الأحساء، ومحل عنايتها وأهم أهدافها.



وقد استمرت هذه الحملات الأمنية من قبل دولة الجبريين بين عامي ٨٥١-٩٢٩هـ باتجاه قبائل الدواسر المشاغبة والفضول، بسبب تعدد تكرار على القوافل التجارية التي تسلك طريق الأحساء والقطيف وطريق التجارة الواقع على إقليم نجد خاصة الواصل إلى بلاد الحجاز «طريق الحجيج»، نظراً لأهميته لقوافل الحجيج، وذلك لأن الجبور كانوا يعتمدون اعتماداً رئيسياً في اقتصاد دولتهم على التجارة وتأمين طريقها مثلهم في ذلك مثل الدولة العصفورية.^١

ومظهر آخر للدلالة على ما أعطته الدولة الجبرية من أهمية قصوى لطريق الحاج الأحسائي والاهتمام بأمنه وأمانه وقطع دابر قطاع الطرق يتمثل بالخروج في مواكب عظيمة تبلغ الآلاف من الحجّاج والعسكر في منظر يثير الرعب في نفوس من تسوّل له نفسه الوقوف في طريق الحاجّ، إضافة إلى الخروج بأنفسهم لقيادة الحجيج، يقول الحميدان في دراسته عن الدولة الجبرية:

«وقد حرص أمراء الجبور على تأمين هذا الطريق - طريق الحاج - وما قيام أمرائهم شخصياً بقياده قوافل الحجيج إلا تعبيراً عن حرصهم على سلامة هذا الطريق الحيوي. وإذا ما عرفنا بأن قوافل الحجيج كان يرافقها عدد غير قليل من المحاربين لحراستها أدركنا أن أمراء الجبور كانوا في الواقع يقومون عند مرافقة قافلة الحجّ بمظاهرة عسكرية لزرع الخوف في نفوس معارضيتهم من رؤساء القبائل المختلفة، إضافة إلى كسب الأصدقاء».^٢

٢- تأديب القبائل المعتدية:

في تاريخ الدولة العيونية كان الأمير محمد أبوسنان العيوني (٥٢٠-٥٣٨هـ)، تولى

١. تاريخ الخليج [الفارسي] وشرق الجزيرة العربية، مصدر سابق: ٤٤٤.

٢. التاريخ السياسي لإمارة الجبور في شرق الجزيرة العربية، مصدر سابق: ٤٧.



بلاد البحرين في أعقاب اغتيال والده الفضل، وقد اشتهر هذا الأمير العيوني ببسالته ونشاطه في القضاء على المفسدين والمعتدين في أصقاع الجزيرة العربية وعلى الخصوص المعترضين طريق الحجاج، حتى قال في شأنه علي بن المقرب العيوني:

منا الذي أصحب المجتاز من حلبٍ إلى العراقِ إلى نجدٍ إلى أدما.^١

فقد كانت القوافل التي تقطع الطريق بين الأحساء إلى نجد إلى مكة المكرمة تعاني من مشاكل قُطَاعِ الطرق، فكان لهذا الأمير اليد الطولى في الحد من خطورتهم وتأمين وطمأنة الحجاج إلى حدٍ كبير.

يقول شارح ديوان ابن المقرب العيوني عند الحديث عن محمد بن أبي سنان العيوني أنه: «كان على صلواتٍ قويّة مع الخليفة العباسي الناصر لدين الله، واشتهر بقضائه على قُطَاعِ الطرق الذين يعترضون الحجاج في طريقهم إلى مكة، وأخذ على أيدي مفسدي العرب حتى صار الراكب يسير إلى عمان من الأحساء وإلى العراق وإلى نجد وإلى الشام فلا يفزعه أحد، وكذلك القافلة أين أدركها الليل باتت لا تخاف من أحد».^٢

كما حرصت الدولة الجبرية منذ بدايتها على يد زعيمها الأول زامل بن حسين على تأمين طريق الحجاج والقوافل التجارية التي تسير عن طريق أراضيها ومنها إلى نجد، وذلك عبر النيل من القبائل النجدية التي تعترض طريق القوافل التجارية والذاهبة إلى الحجّ، وقد شنّ لذلك حملات متعددة على نجد منها ما وقع في سنة ٨٥١هـ، حيث يقول ابن بسام: «وفي سنة ٨٥١هـ، غزا زامل بن جبر العقيلي العامري ملك الأحساء والقطيف، ومعه جنود عظيمة من البادية والحاضرة وقصد الخرج وصبح الدواسر، وعايد على الخرج، وحصل بينهم قتال شديد قتل فيه عدّة رجال من الفريقين، ثم

١. أدما: هي قرية لبنانية من قرى قضاء كسروان في محافظة جبل لبنان.

٢. العيوني، علي بن المقرب ديوان ابن المقرب، تحقيق و شرح: عبد الفتاح محمد الحلو، مكتبة التعاون الثقافي: الأحساء، الطبعة الثانية: ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م: ٥٤٨.



سارت الهزيمة على الدواسر وعايد، واستولى زامل على محلتهم وأغنامهم وإبلهم وأقام في الخرج نحو عشرين يوماً ثم قفل عائداً إلى وطنه»^١.

وكانت له حملة قوية على نجد سنة ٨٥٥هـ، ثم أتبعها بحملة شرسة سنة ٨٦٦هـ أخضع خلالها القبائل النجدية التي كانت ترصد وتعترض طريق القوافل وتبطش بالحجاج على حدٍ سواء.

هذا الأمر يقودنا إلى إدراك إنَّ بني جبر كان لهم اهتمام بجانين:

الجانب الديني:

ويتمثل في الحج الذي هو من أركان الدين وشعيرة عبادة عظيمة حثت النصوص على أدائها، لذا ينبغي ردع كل من يحاول أو تسول له نفسه التعرض لحجاج بيت الله الحرام بالسوء، ومن هنا تجلّى هذا الجانب في الدولة الجبرية بكونها دولة دينية تهتم بالعلم والعلماء وتولي لها أهمية كبيرة.

الجانب الاقتصادي:

باعتباره مصدر تمويل الدولة وقوتها وعزتها أمام الأعداء، وأنهم دولة تحمل فكراً اقتصادياً وتجارياً مترامي الأطراف، حيث أولت الدولة الجبرية الحج منذ النشأة اهتماماً خاصاً، وأدّل دليل على ذلك مشاركة أمرائها في موكب الحجيج في كل عام بأعداد كبيرة من الحجاج والجند، مما يعطي موكبهم هيبة عظيمة أمام الناظرين.

ومما يفسر السر وراء هذا العدد من المرافقين في الركب الأحسائي في الحج، إنَّ سلاطين الجبور حرصوا على تأمين طرق التجارة في بلاد البحرين ونجد، وكان سلاطينهم يقومون بقيادة قوافل الحجيج شخصياً، وهذا يعدّ تعبيراً صريحاً على



حرصهم على سلامة الطريق الحيوي، وما يؤكّد ذلك أنه في عام ٨٩٣هـ، خرجت حملة بقيادة السلطان أجود ضد الدواسر، كما سبق ذكره في واحة الخرج لإخضاعهم، وقد ذكر المؤرخون أنّ السلطان أجود قد قام بالحجّ في تلك السّنة.

ونستنتج من خروج السلطان أجود وتوجّهه لتأديب قبيلة الدواسر التي ربما خرجت لتهديد قوافل الحجّج المتوجّهة إلى مكة، لذا لازم السلطان أجود تلك القوافل العابرة لطريق الحجاز والذاهبة إلى مكة وحتى يؤمّنها من تعدي القبائل النجدية الأخرى إذا كان طريق قوافل الحجّج يعبر منطقة نجد إلى مكة^١. وسبق أن أشرنا في تاريخ الحجّ الأحسائي ما اكتنف رحلة الحجّ من صعوبات على مرّ التاريخ زهقت أرواح مئات الحجّاج ضحيتها في بعض الفترات.

٣- توفير خدمات الطريق:

ونعني بتوفير الخدمات، حفر الآبار في طريق سير الحجّ، إضافة إلى الخانات وأماكن الراحة التي تعدّ مستراحاً للحجّج من عناء السفر ومشقّته، وقد حرصت الدول الإسلامية والزعامات السياسية سواء في العهد الأموي أو العباسي وحتى الدول المتعاقبة على المنطقة خلال القرون المختلفة بالعناية بهذه الجانب، لما يمثله الحجّ من شعيرة دينية مقدّسة فيها الأجر والثوبة، وعليها يتنافس المؤمنون في البذل والعطاء، فيقيمون الأوقاف على سقيا الحجّ وإطعام الدواب، وإيواء المشرّدين، وإسكان القادمين، وغيرها من الخدمات المختلفة التي تخفّف على الحجّج عناءه وتسهّل عليه أداء فرضه.

٤- اختيار الطريق المناسب:

من المهام الكبيرة المنوطة بأمير الحجّ أو من يتولى قيادة الحجّج أن يكون ذا خبرة

١. تاريخ الخليج [الفارسي] وشرق الجزيرة العربية، مصدر سابق: ٤٤٦.



و دراية واسعة بالطرق المختلفة المؤدية إلى الديار المقدسة، ليقوم باختيار الطريق الأنسب والأفضل للحجيج، سواء لمناسبته بسبب عامل الزمن بأن يكون أكثر اختصاراً من غيره، أو للبعد الأمني، أو من حيث توفر مصادر المياه، الأمر اللازم لسير قافلة الحجيج براحة وسلام.

وقد ذكرنا خلال الحديث عن العهد العثماني في الأحساء كيف تعنتي الدولة العثمانية باختيار أنسب الطرق وأفضلها لتسهيل طريق الحاج، عبر توصيات خاصة لمتصرف الأحساء بهذه المهمة.

٥- جعل المخصصات المالية لتأمين الطريق:

امتلاً طريق الحاج من مختلف اتجاهات بقطاع الطرق واللصوص الذين يفرضون ضرائب باهظة وثقيلة على الحاج للسماح لهم بالعبور أو القيام بقتلهم وسلب أموالهم، حتى أصبح الحج من الأمور التي لا يأمن الحاج عودته سالماً إلى أهله ووطنه فكانوا يكتبون وصاياهم ويودعون أهاليهم وداع من لا يحمل عودته، وقد حفل التاريخ الأحسائي بالعديد من المحن والحوادث التي ذهب ضحيتها عدد من الحجّاج.

فكان أحد الحلول الناجعة جعل عطايا سنوية لأمرء المناطق وزعماء القبائل الواقعة على طريق الحاج، مقابل قيامهم بحماية الحجيج أثناء عبورهم في أراضيهم، ومنع قُطاع الطرق وأبناء القبيلة من اعتراض الحجيج، وقد ذكرنا بعض هذه المبالغ والعطايا والمنح التي خصّصتها الدولة العثمانية لأمرء المناطق في نجد، مقابل تأمين وصول الحجّاج وتسهيل عبورهم في أراضيها مع توفير الخدمات اللازمة لهم.



الباب الثاني

معالم طريق الحج الأحسائي

وفيه:

* بيان بعض المصطلحات القديمة

* المسافة بين الأحساء والحجاز

* العوامل المؤثرة في تحديد طريق الحج

* بيان بعض المصطلحات القديمة:

قبل التطرّق والكتابة عن المسافة التي يقطعها الحاج من الأحساء إلى بيت الله الحرام بمكة المكرمة، يجدر الإشارة إلى توضيح بعض المصطلحات التي كانت معروفة ومتداولة في تلك الأزمنة الغابرة، والتي تتمثل في وحدات قياس المسافة والزمن، وذلك على النحو التالي:

البريد:

وهو أربعة فراسخ، والفرسخ: ثلاثة أميال، فإذا كان الميل يساوي (٦٠٩ / ١ كم)،



فيمكن تحديد المسافة بالكيلو ليكون مقدار الفرسخ يساوي (٨٢٧ / ٤ كم)، فإذا قلنا البريد أربعة فراسخ فالنتيجة تكون أن البريد يساوي (٣٠٨ / ١٩ كم) تقريباً.

الدَّرَاع:

وهي من رأس أطول أصبع في اليد إلى نهاية عظم المرفق (من ذراع الآدمي المعتدل الخلقة)، والذراع المعتدل بمقاييس الطول الحديثة يساوي قرابة (٤٨ / متر).

الفرسخ:

الْفَرَسَخ: جمع فَرَاْسَخ، وهو من مقاييس المسافة قديماً. وأصل الكلمة فارسية معربة من كلمة (پرسنگ) أو (پارسنگ)، وتجمع أغلب المراجع اللغوية على أن الفرسخ يعادل ما بين أربعة وستة كيلومترات في النظام الدولي الحالي،^١ وعرفه البعض فقال: الْفَرَسَخ بفتح فسكون لفظٌ معرَّب، وجمعه فراسخ، وهو مقياس من مقاييس المسافات مقدره ثلاثة أميال أي إثنا عشر ألف ذراع مما يساوي (٥٤٤ / ٥ كم).

المرحلة:

هي مسيرة يوم كامل للإبل، ويقدر خبراء الإبل بأن أقصى ما تمشيه الإبل في اليوم هي مسافة تقدر ما بين ٧٠ إلى ٨٠ كم، ومقصودهم في النهار، أما الليل ففي العادة تتوقف القافلة عن المسير من أجل النوم والراحة، وقد تقصر المسافة نظراً لتعرج الطريق وانحنائاته ووعورته فتصل المسافة اليومية المقطوعة إلى ٤٠ كم، وهناك تعريف آخر للمرحلة وهو كما يلي: المرحلة: بريدان والبريد: أربعة فراسخ، والفرسخ: ثلاثة أميال عباسية، فتكون المسافة ثمانية وأربعين ميلاً.^٢

١. موسوعة ويكيبيديا العالمية على شبكة الإنترنت.

٢. مجلة الرسالة الإسلامية. بغداد. العدد ١٢ من السنة ٢٣: (١٤٠٠هـ-١٩٨١م): ٣٤.



الميل:

وهو من وحدات القياس الطوليّة التي ذكرها الرّحالة الأقدمون في حسابهم للمسافات، وهو بحسب المقاييس الحديثة المعتمدة فإنّ الميل الواحد يعادل (٦٠٩ / ١ كم).

منزل:

وهو مصطلح يطلق على المكان الذي تتوقّف فيه القافلة بعد مسيرها الطويل من أجل التزوّد بالمؤن وأخذ قسطٍ من الراحة، ويكون (المنزل) إما مأهولاً بالسكان كالقرى حيث الآبار وتوفّر الماء حول الواحات، وقد تكون فقط مناطق معروفة ومشهورة تقع ضمن طريق الحاجّ، وهي على مسافات مختلفة قد تطول وتقصّر. ولهما مسمّيات معروفة ومتداولة بين الرّحّالين، فيقولون مثلاً بين البصرة ومكة المكرمة ٢٨ منزلة، أي محل للنزول والتوقف، أو نقطة عبور يتم المرور عليها، ويختلف عددها ومسمياتها من طريق إلى آخر من ناحية العدد والأماكن، علماً أنّ بعض الطرق تتقاطع في بعض المواقع وتفرق في أخرى.

يوم:

وهو في حقيقته يعود إلى (المرحلة)، حيث يقصدون به مسيرة يوم للإبل، فيقولون بين الأحساء والعارض ستة أيام، وبين العارض ومكة المكرمة ثمانية عشر يوماً وهكذا...، وهي عبارة عن مسيرة يوم للإبل في حالته الطبيعية المستوية، مع حساب التوقفات المعتادة، فهو حساب تقريبي وليس على وجه الدقة، وقد يختلف من وقت لآخر تبعاً لبعض الظروف، وحجم القافلة وأعداد مرافقيها.

فعلى سبيل المثال المسافة بين الأحساء إلى البريمي في عمان يرى (لوريمر) أنه يمكن قطع المسافة بين الهفوف والبريمي في عشرة أيام، أما القوافل فتقطع المسافة في مدة



شهر،^١ ونلاحظ مقدار التباين في الوقت بين الأفراد والقافلة.

وتكمن أهمية تحديد الأيام والمراحل في تقدير الوقت الذي تستغرقه الرحلة ليكون الإستعداد بحسبها من حيث التزوّد بالمؤن.

* المسافة بين الأحساء والحجاز:

تعددت الأقوال في تحديد المسافة بين الأحساء وبلاد الحجاز تبعاً لإفادات مختلفة من المؤرخين، وذلك بشأن تقدير المسافة الطولية والزمنية التي استغرقها أثناء رحلاتهم التي قاموا بها بين الأحساء والحرمين الشريفين مكة المكرمة والمدينة المنورة، وهنا سنحاول استعراض عدد من هذه الأقوال لتتعرّف على المسافة وتقديراتها، من خلال عدّة اعتبارات مختلفة:

أولاً: من خلال الطريق المباشر، المسافة بين الأحساء ومكة المكرمة:

وردت في المصادر القديمة عدّة تقديرات للمسافة بين الأحساء ومكة المكرمة تبعاً لتجربة الرحالة أو صاحب قافلة الحجّ، وهي في حقيقتها تقديرية لاختلاف المسافة تبعاً لعوامل عديدة نأتي عليها فيما بعد، فقد ذكر الجغرافيون والمؤرخون والرحالة المسافة التي يقطعها الحاج من الأحساء إلى مكة المكرمة، ولهم في ذلك أقوال مختلفة.

يقول ناصر خسرو (ت ٤٨١هـ) في كتابه (سفرنامه):

«بعد إتمام الحج استأجرت جملاً من أعرابي لأذهب إلى الحسا، وقيل إنهم يبلغونها من مكة في ثلاثة عشر يوماً»^٢، وهو كلام غير دقيق، إلا إذا كان الحديث عن الأفراد

١. عبد الله، الدكتور محمد مرسي، إمارات الساحل وعمان والدولة السعودية الأولى ١٧٩٣-١٨١٨م، المكتب المصري الحديث؛ القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٧٨م: ٤٢.

٢. سفرنامه، ناصر خسرو، مصدر سابق: ٣٨.



ومن يَحْثُونَ الشَّرَى لِيلاً ونهاراً، ولا يتوقَّفون إلا لساعاتٍ قليلة.

بينما يقدِّر المؤرِّخ عبد القادر بن محمد بن عبد القادر الأنصاري الجزيري (٩١١-٩٧٧هـ) في مطاوي كتابه «درر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة»، المسافة بقوله: «بين الأحساء ومكة المكرمة ثلاثمئة وثلاث وثلاثون ميلاً، بما يعادل مئة وإحدى عشر فرسخ، في الجهة الغربية منها»^١.

والكلام هنا لا يخلو من مبالغة كسابقه، فالمسافة أطول مما قاله بكثير، وكلامه مبني على السماع لا على التجربة وخوض الطريق.

ومن قام بتحديد المسافات بين الأحساء والديار المقدسة، والمناطق الأخرى التي على طريق الحاج الأحسائي وقد استفاد منه من جاء بعده هو حاجي خليفة المعروف بـ «كاتب جلبي»، (١٠١٧-١٠٦٨هـ) حيث يقول:

«فصل بيان نجد (العارض)... بلد واسع يخرقه جبل يسمونه جبل العارض ويسمونه الآن جبل العمارية، إلا أنهم لا يدخلون في طاعة الأشراف، وبداية هذا الجبل تبعد عن الحجاز ثلاثة مراحل، ويمتد أحدها إلى نجد العارض، وغرب هذا الجبل يقف مثل الجدار من الحجر الأبيض، والوجه الشرقي منه أرض رملية، وتقع حجر اليمامة في وسط وجه الحجر الشرقي، وهي تبعد عن الوجه الحجري من اليمامة مرحلتين، وتقع سرين في وسط العارض ويوجد في هذا الجبل وإد يسمونه وادي بني حنيفة وفي هذا الوادي توجد المياه والأشجار والنخيل في غاية من الجمال وقد زينت في أطرافها القرى، ويوجد في أعلاها بلدة الدرعية، وفي أسفلها ضبيع، وأهلها بنو تميم وشيخهم آل مريد، والدرعية تقع على طريق حجّاج الأحساء، وواديها في غاية الصعوبة، وبلاد العارض تقع على هذا الوادي، ويوجد بالقرب منها جبل أبو عوف، والعينة بلدة جميلة وهي تقع في الشمال الغربي من الدرعية وبها عنب فاخر وخوخ

١١٤ . ١. أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، مصدر سابق ٢: ٤٧.



وتمر وخوخها ينبت من نفسها، أما ملهم فتبعد ست مراحل من الأحساء ويوجد بها قصب السكر والتمر والعنب والخوخ»^١.

إلى أن يقول:

«أما مرارة (مرات)،^٢ فهي تبعد عن الدرعية مرحلتين، وبها ماء ونخيل، ووقف مرارة يبعد شمال غربها ستة أميال وبها نبع مياه، وتبعد عن الدرعية مرحلتين، ومن شقراء خمس مراحل ولها واديان يقعان بالقرب منها، وفي شقير، يوجد أشجار، وبلدة الرياض تقرب من الأحساء، وهي تشمل على بلدات وقرى من بلداتها منفوحة، وهي تبعد عن الأحساء ست مراحل، وبقرى قصر الدرعية توجد معكالك، في شرق الدرعية وهي تقع في مرحلة واحدة من اليمامة»^٣.

وأوضح «كاتب جلبي» منازل وطرق حجاج الأحساء التي تمر بالعارض، فأشار بالقول: «إلى جُودة ومنها إلى ضان إلى الدهناء إلى دحل وإلى جبل عرنة، ومنها إلى ملهم إلى جفر إلى ربض - لعلها الرياض - إلى الدرعية إلى حيسية إلى مرارة (مرات) إلى الشعراء»^٤.

«أما حاج السلمية والدلم فيخرجون منها إلى وادي بريك ونعام، ثم يتجهون غرباً (غرب العارض).

ويمر على هذا الوادي أيضاً طريق ركب الحساء والقطيف، وفيه يقول الشاعر:

لَعَلَّكَ تُوطِنِي نَعَاماً وَأَهْلَهُ وَلَوْ بَانَ بِالْحُجَّاجِ عَنْهُ طَرِيقُ

١. قوافل الحج المارة بالعارض، مصدر سابق: ٩٣-٩٤.

٢. مرات: محافظة تقع في الجهة الشمالية الغربية لمدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية وتتبع إدارياً لمنطقة الرياض.

٣. قوافل الحج المارة بالعارض، مصدر سابق: ٩٥.

٤. م. ن. ٩٧.



وهذا الوادي من أكبر الطرق المعتبرة للقوافل التي تمتاز من الحوطة والحريق والخرج مقبلة من العالية وعائدة إليها ومعه طريق حجّاج تلك الجهة وما يصاحبها،^١ شرقاً».^٢

ففي هذا الكلام تتضح بعض معالم الطريق التي تتخلل طريق الحاج من الأحساء إلى الديار المقدسة، لكنّ «كاتب جلبي»، لم يعط مسافات دقيقة أو مترابطه نستطيع من خلالها تحديد معالم الطريق الذي أراد بيانه، بغرض معرفة مجموعة من أهم المحطات والمعالم التي يتوقّف عندها الحاج الأحسائي في طريقه وما تمتاز به من خصب ورعي وجبال. وهنا نشير إلى أنّ ابن علوان الدمشقي سلك طريق الحاج الأحسائي في زيارته للأحساء، وذلك عندما قفل راجعاً من حجّه لبيت الله الحرام وزيارة المسجد النبوي مريداً بذلك زيارة العتبات المقدسة بالعراق وذلك عام ١١٢١ هـ، فحينما سئل عن المسافة بين الأحساء ومكة المكرمة ذكر أنه قطعها مع الركب في ثمانية عشر يوماً، وإنّ الإياب من مكة إليها يبلغ خسمة وعشرين يوماً.^٣

المسافة بين الأحساء والمدينة المنورة:

توجد عدّة تقديرات للمسافة بين الأحساء والمدينة المنورة، إذ يُقدّر الجغرافي «الإصطخري» في كتابه «المسالك والممالك» المسافة من البحرين إلى المدينة المنورة بنحو خمس عشرة مرحلة.^٤

١. يصاحبها: أي يجاورها.

٢. قوافل الحج المارة بالعارض، مصدر سابق: ١٠٢.

٣. الدمشقي، السيد مرتضى بن علوان، رحلة مرتضى بن علوان إلى الأماكن المقدسة والأحساء والكويت والعراق، تحقيق و تعليق: أ. د. سعيد بن عمر آل عمر، مكتبة المتنبّي: الدمام، الطبعة الثانية: ١٤٢٥ هـ: ١١١.

٤. الإصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي (المتوفى: ٣٤٦ هـ)، المسالك والممالك، الهيئة العامة لقصور الثقافة: القاهرة الطبعة الأولى: (د.ت): ٢٨.



أما صاحب «أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك»، فيذكر بأن المسافة بين الأحساء والمدينة المنورة ٢١ يوماً، حيث يقول واصفاً الأحساء:

«وهي ذات نخيل كثيرة ومياه جارية ومنابعها حارّة شديدة الحرارة، وهي في البرية... وليس للأحساء سور، وبين الأحساء واليامة مسيرة أربعة أيام»،^١ ثم يذكر أنّ المسافة المقدّرة بين اليامة والمدينة المنورة هي خمس عشر مرحلة.^٢

ثانياً: من خلال الطريق غير المباشر:

ويمكن حساب المسافة بطريقة أخرى، وذلك باعتبار تقسيم المسافة إلى نصفين من الأحساء إلى اليامة، ومن اليامة إلى مكة المكرمة وهي كما يلي:

المسافة من الأحساء إلى اليامة:

هناك عدة تقديرات للمسافة نذكرها، وهي:

المسافة بالفراسخ:

فقد ذكر «ناصر خسرو» المسافة ناظراً لعدد الفراسخ التي تفصل بين البلدين، فيقول: «وَمِنَ الْيَمَامَةِ إِلَى الْحَسَا أَرْبَعُونَ فَرْسَخًا وَلَا يَتَيَسَّرُ الذَّهَابُ إِلَيْهَا إِلَّا فِي فَصْلِ الشِّتَاءِ حِينَ تَتَجَمَّعُ مِيَاهُ الْمَطَرِ فَيَشْرَبُ النَّاسُ مِنْهَا، وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ فِي الصَّيْفِ».^٣ ووفق هذا التقدير لو أردنا ترجمة المعنى المقاييس الحديثة فإنّ المسافة بحسب قوله

١. البروسوي، محمد بن علي، الشهير بابن سباهي زاده (ت ٩٩٧هـ / ١٥٨٩م)، أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك، تقديم وتحقيق: المهدي عيد الرّواضية، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى: ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م: ١٣١.

٢. أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك، مصدر سابق: ٧٣٣.

٣. سفرنامه، ناصر خسرو، مصدر سابق: ١٤٢.



تكون كالتالي:

$$* \text{الفرسخ ثلاثة أميال} = 3 \times 609 / 1 = 1827 / 4 \text{ كم}$$

$$* \text{المسافة كاملة: } 40 \times 1827 / 4 = 193 / 08 \text{ كم}$$

والصحيح أنّ المسافة بحساب الكيلومتر هي ٤٥٠ كم، فحتى لو قلنا باختلاف الطرق بين الماضي والحاضر فمن غير المعقول أن يكون الفارق بهذا الحجم الكبير. وهذا يعطينا اعتقاداً جازماً بعدم صحة كلام ناصر خسرو، من حيث أنّ كلامه أبعد ما يكون عن الواقع واعتماده على النقل في تحديد المسافة.

المسافة بالأيام:

أما صاحب (أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك)، فقد حسب المسافة باعتبار آخر وهو عدد الأيام التي يستغرقها الطريق بين البلدين، حيث يقول: «وليس للأحساء سور، وبين الأحساء واليامة مسيرة أربعة أيام، وأهل الأحساء والقطف يجلبون التمر إلى الخرج وادي اليامة، ويشترون بكل راحلة من التمر، راحلة من الخنطة»^١.

وهذا خلاف ما ذكره «الحموي» في معجمه من أنّ المسافة بين البحرين واليامة مسيرة عشرة أيام.^٢

وقد اختلفت التقديرات بين أربعة أيام إلى عشرة أيام، فإذا قلنا بأنّ المسافة اليومية التي يمكن قطعها في حدود ٧٠ كم تقريباً فإنّ المسافة تستغرق ما تعادله بالأيام حسب الآتي:

١. أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك، مصدر سابق: ١٣١.

٢. الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي:

بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ ١٩٩٣ م. ٥: ٤٤٢.



* ٤ أيام = ٢٨٠ كم

* ١٠ أيام = ٧٠٠ كم

وكلا القولين بين المبالغة والتقصير في تقدير المسافة، بينما حدّده البعض بسنة أيام، وهو الأكثر دقة وعليه يكون:

* ٦ أيام = ٤٢٠ كم.

المسافة من اليمامة إلى مكة المكرمة:

في حين ذكر بعض البلدانين أنّ المسافة بين اليمامة ومكة المكرمة خمس عشرة مرحلة^١. فإذا قلنا بأنّ مسير الإبل في اليوم حدود (٧٠) كم، فإنّ المسافة تكون بين اليمامة ومكة حدود (١٠٥٠) كم، وهي مسافة ليست بعيدة عن الواقع، لو كان الطريق مباشراً وقليل التعرّجات التي نجدها اليوم في سير السيارات الحديثة.

* العوامل المؤثرة في تحديد طريق الحج:

الراصد لخط سير الحجاج من وإلى الأحساء والمتتبع لحركتهم و تنقلاتهم يلاحظ تباين التقديرات الحسابية للمسافات المقطوعة بين مختلف القرى والمحطات والمنازل من لدن المؤرخين والرّحالة، ولعلّ مردّد ذلك عدّة عوامل شاخصه ينبغي أخذها بعين الاعتبار، وأهمّها ما يلي:

١- اختلاف الطرق:

كثيرة هي الطرق المسلوكة من الأحساء إلى اليمامة أو من الأحساء إلى مكة المكرمة،

١. ابن خردادبه، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله، المسالك والممالك، مطبعة برييل: مدينة ليدن،

الطبعة الأولى: ١٨٨١ م: ٥٠.



وقد تختلف المسافات باختلاف الطريق التي هي متباينة طولاً وقصراً وهذا ما سنلاحظه خلال الصفحات القادمة في تحديد المناطق التي يمرّ عليها الحجاج الأحسائي، أو الطرق بين الأحساء ومكة المكرمة، والتي ذكرها الجغرافيون في مدوناتهم وتصانيفهم.

وهذا الاختلاف البيّن في المسافات بين النزل القائمة على الطريق أتاحت لقوافل الحجّ فرصة للمراوغة والوصول إلى الديار المقدسة بعيداً عن الطرق المعهودة والتي يترصدها عادةً قُطّاع الطرق من القبائل القاطنة وسط الصحراء، وتشكل عقبة كُأداء أمام الوصول بسلام لمكة المكرمة.

٢- حالة الطقس حين المسير:

فقد ذكر المهتمّون بدراسة الطرق والمسالك أنّ الحجاج كانوا يسلكون طريقاً معيّناً إذا كان موسم الحجّ في فصل الصيف، مختلف عنه في فصل الشتاء، وذلك أنه في الصيف تحتاج القافلة إلى البحث عن منابع الماء والمنازل طوال الطريق للتوقّف عندها من أجل التزوّد بالماء، وسقي الإبل من جهة أخرى، وهذا قد يجرّفهم عن الجادة لمسافات طويلة تسهم في تأخر الوصول وطول المسافة.

بخلاف لو كان موسم الحجّ يصادف فصل الشتاء فإنّ الحاجة للماء تكون أقلّ والدوابّ أكثر تحمّلاً للعطش، وبالتالي يأخذ الطريق مساراً آخر، يتناسب مع طبيعة الطقس، فيكون انتقاء أقرب الطرق الموصلة إلى مكة.

يقول الشبانان في كتابه عن بلاد الصمّان حول مسير القوافل من البحرين إلى الحجاز:

«تتنقل برّاً بواسطة الجمال إلى أواسط نجد، ومنها إلى الحجاز كقوافل الحجاج، وكانت قوافل الإبل المحملة بالبضائع والمؤن والمسافرون تشق طريقها في الصحراء عبر دروب متعددة حسب جهتها، وهذه القوافل تمرّ في طريقها بصحراء الصمّان، فيعمد سالكوها المرور بموارد الماء الموثوق بها، خصوصاً في فصل الصيف، وفي الشتاء



يسلكون دروباً غير مشهورة لا تمرّ بموارد الماء لكونها أقصر مسافة، ولأنّ الإبل لا تحتاج إلى الماء في الشتاء مثل الصيف»^١.

ومثل هذا الكلام تكمن أهميته أنه لا يختص بالسائرين على طريق الصمّان إلى اليمامة فقط، وإنما يشمل جميع مراحل الرحلة إلى الديار المقدسة سواء في الذهاب أو الإياب، حيث يكون هناك منازل، وصحاري يعبر عبرها الحاج، منها ما هو طويل المسافة، ومنها ما هو أكثر اختصاراً، إلّا أنه أحد العوامل المؤثرة في اختيار الطريق هي مسألة الطقس حارّاً أو بارداً.

ومن جهة أخرى - في مثل هذه الظروف رغم البحث عن الطرق القريبة لقلة الحاجة للماء - فإنه ينبغي مراعاة تجنب السير بين الجبال والأودية قدر المستطاع لما قد يحدث فيها من سيول جارفة نتيجة لوقوع الأمطار على قمم الجبال، مما يجعل السير والعبور منها من الأمور العسيرة ويكتنفها الكثير من المجازفة والمخاطرة.

٣- البعد الأمني في الطريق:

عطفاً على ما سبق استطراده من بيان في مطاوي البحث فإنّ طريق الحاج محفوف بالمخاطر ومليء بقطّاع الطرق وممن يأخذون ضريبة العبور من رجال البادية، مما يرهق الحاج ويكلفه الكثير، لذا يراعي أمير الحاج توخّي الحذر أبان سيره بالبعد عن مواطن تجمع قُطّاع الطرق، أو مخيمات البدو ذوي السمعة السيئة في طريق الحجّاج. وقد سبق أن أشرنا لبعض الحوادث المتعلقة بطريق الحجّاج الأحسائي، وإن كانت المأساة عامة شاملة لجميع الطرق المختلفة، فهناك تقاسم داخلي بين القبائل للصحراء وطرق الحجّاج بحيث تتولى كلّ قبيلة جزءاً منها تنصيده من خلاله القوافل الواصلة بغرض فرض ضريبة وإلزامهم بدفعها طوعاً أو كرهاً مقابل قطع هذا الجزء من



الطريق، بحيث إن الحاج لو تجاوز عقبة لا يضمن نجاته من الأخرى، وحتى قدرته المائيّة قد تتضعع جرّاء ما يستنزفه على شكل ضرائب.

لذا قد يصادف في بعض الأعوام إنّ الحجّاج يرجعون من حيث أتوا نتيجة للأزمات والصعوبات التي تكتنف الطريق، فلا يكون حجّ في ذلك العام نظراً لضيق الوقت وفوت الموسم عليهم.

وقد يلجأ قائل القافلة وأمير الحاجّ إلى اللجوء للطريق البحري بأن يركب البحر من ميناء العقير إلى جدّة ملتفّاً على الجزيرة العربية، ومنها إلى مكة نظراً لقصر المسافة وقلة القبائل المتواجدة عليه، بالإضافة إلى حرص الدول الحاكمة على تأمين طريق الحاجّ قدر المستطاع وحماية سالكيه.

٤- خبرة الدليل:

لا يمكن لأيّ ركب أن ينطلق إلّا بوجود دليل ومرشد خبير بمواقع النجوم والمنازل والطرق بتعرجاتها ووعورتها، فإذا كان على دراية كبيرة جنبّهم ووعورة الطريق والمسافات الطويلة عبر اختيار أحسن وأفضل الطرق للوصول إلى مكة المكرمة.

لهذا برزت مجموعة ممن لديهم خبرة بطرق الحاجّ سواء من أهل المنطقة أو دليل من أهل البادية، ويشترط فيه معرفته بالمسافات وأماكن الآبار والمنازل التي يتوقف عندها الحاجّ، كما يشترط أن تكون لديه إحاطة تامّة بالطرق البديلة التي يمكن أن يسلكها الحجّاج عند انغلاق طريق الجادة.

كما أنّ هناك جانب مهمّ في شخصية الدليل لا يمكن تغافله، وهو خبرته ودرايته وعلاقاته العامّة بالقبائل التي تعيش في طريق الحاجّ، علاوةً على ذلك معرفته بمساحة تمدّدها الجغرافي وحدود نفوذها ليتجنب القبائل ذات الصيت السيء المشهورة بقطع الطريق واستغلال موسم الحج في النهب والسلب.



٥- حجم القافلة:

إنَّ حجم القافلة وضخامتها له أثر في سرعة وبطء سير القافلة، فكلما كبر العدد كلما كان هناك حاجة لكثرة التوقيفات ومراعاة الضعيف فيهم، كما أن توقيفاتهم للطعام أو لقضاء الحاجة تطول مما يسهم بدرجة في طول المسافة.

٦- اقتناء البضائع والمؤن:

عادةً ما يأخذ الحجاج سواء عند الذهاب أو الإياب بضائع ومنتجات وحرقيات من بلدهم إلى مكة المكرمة، مما يسهم في تناقل حركة النقل والمشى في القافلة، وهنا لفئة مهمة أشار إليها ابن علوان عندما سأل الحجاج عن المدّة يستغرقها الطريق بين الأحساء ومكة المكرمة ذهاباً وإياباً، فقال: «وذكر لنا أن المسافة من الحسا إلى مكة أتوها الحاجّ بثمانية عشر يوماً، وإنَّ الإياب من مكة إليها يبلغ خمسة وعشرين يوماً»^١. من هذا الاقتباس نلاحظ أن الفارق هو (٧) أيام زيادة لصالح الإياب، وذلك بسبب الهدايا التي يحملها الحاج معهم لأهلهم وأقاربهم كبركة من الديار المقدسة، وقد يكون الإنهاك والتعب في العودة ممن يجعلهم أضعف وأكثر حاجة للراحة. كما يمكن للقوافل في طريق العودة أن تتخذ مساراً مختلفاً عن طريق الذهاب تحسباً لوجود من يكمن لهم في الطريق ويترصد لهم، لأنَّ الحاج بعد فراغه من أداء المناسك همّة الأكبر الوصول سالماً بغضّ النظر عن الوقت الذي يستغرقه ذلك، لذا يعمدون لطرق بعيدة لكي تكون أكثر أمناً وسلامة من الطرق المختصرة والمطروقة من الحاجّ.

٧- العامل التاريخي:

ونقصد به التعاقب التاريخي للحقب الزمنيّة، فقد نلاحظ محطات ومنازل متآخّة



لطريق الحجّ تتغيّر مسمّياتها وحتى مواقعها من فترة إلى أخرى، وقد يصل الأمر إلى اندثارها وطمس معالمها.

ذكر المؤرّخون والجغرافيون الأوائل أنّ للحجّ الأحسائي عدّة طرق مختلفة تبعاً لما سمعوه، أو ما لمسوه من خلال تجاربهم الشخصية، وذلك لرحلة الحجّ من الأحساء إلى مكة المكرمة أو العكس.

وهذا قد يتأثر نتيجة لاندثار المعالم والشواهد العلامات وبيروز معالم أخرى في نفس المكان أو ما جاوره، فما كان عامراً ومزدهراً في حين من الوقت وسبباً لاتخاذ طريقاً في زمن من الأزمنة، قد يصبح مهجوراً ومتروكاً في زمن آخر، وتبعاً لهذا يتغير الزمن والمسافة.

* الفصل الأوّل: الطرق المباشرة إلى مكة المكرمة

طرق ومنازل الحجّ من الأحساء إلى مكة المكرمة:

وردت في المصادر التاريخية مجموعة من الطرق التي سلكها حجّاج الأحساء على مدى العصور الإسلامية، حيث استطعنا رصد مجموعة منها من خلال المصادر التاريخية وما سطره الرّحالة في مدوّناتهم، وهي كما يلي:

الطريق الأوّل، الطريق القديم من الأحساء إلى مكة:

سلك الأحسائيون خلال تاريخهم الطويل عدّة طرق إلى الديار المقدسة تبعاً للظروف المختلفة، حيث عاصروا الحقب التاريخية التي أسهمت في تغيّر الطرق والمنازل التي اعتاد الحجّاج التوقف عندها للتزوّد والراحة.

وسنعرض هنا واحداً من الطرق التي تعود إلى القرن الثالث الهجري، والذي يعد من أقدم الطرق التي تمت الإشارة إليه للحجّ الأحسائي، وقد رصدناه من خلال



ثلاثة جغرافيين لهم باعٌ واسع في معرفة الطرق والمسالك بمختلف البلدان، حيث أشار كلٌ واحدٍ منهم إلى جزئية من الطريق لتكتمل الحلقة من الأحساء إلى مكة المكرمة، وهي على ثلاث مراحل:

* المرحلة الأولى، من الأحساء إلى اليمامة:

تعدّ الأحساء البوابة البحرية لمنطقة نجد وما حولها، كما أنّ نجد هي طريق القوافل الخارجة من الأحساء والمتجهة لوسط الجزيرة العربية من أجل التجارة أو إلى الحجّ، وحيث أنّ منطقة الخرج هي أقرب المناطق للأحساء من جهة تهامة، لهذا كانت قوافل أهل نجد من الدواسر إلى حوطة بني تميم يأتون إلى الخرج لمرافقة القوافل الميمّمة شطر الأحساء عبر (الوسيع) أو (أبو جفان)، ويتبعهم أهل شمال نجد وحجر اليمامة لبدء رحلتهم إلى الأحساء، وذلك لأنّ هذين الموردين لا يوجد بعدهما موارد ماء معتمدة في الطريق إلى الأحساء (مسافة ٤ أيام)، كما أنّ رمال صحراء الدهناء تكون مسافة عرضها أقل عبر هذا الطريق المعروف قديماً بـ: (طريق زري)، والوقت الحاضر بـ: (درب مزليج)، وقد أشار الهمداني إليه في طريق الأحساء اليمامة.

وإليك وصف الطريق الذي ذكره أبو محمد الحسن الهمداني، مع تحقيق الأماكن التي ذكرها الهمداني، وتبيين المصطلحات الموجودة في النص، لما لذلك من أهمية تكمن في معرفة طبيعة رحلة الحجّ وما يكتنفها من صعوبات.

فقد ذكر الهمداني (٢٨٠ - بعد ٣٣٦هـ)^١ في كتابه: «صفة جزيرة العرب»، عند الحديث عن درب حاجّ الأحساء إلى اليمامة:

١. أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف بن داود بن سليمان الأرحبي البكيلي الهمداني (٢٨٠ - بعد ٣٣٦هـ)، من أعظم جغرافيين جزيرة العرب في عصره، وكان شاعراً كذلك، وله إحاطة بعلوم الفلك والحكمة والفلسفة والكيمياء. سجن في أخريات حياته، وكان من أهم ما كتب الجوهرتين العتيقتين. قضى بعد السجن عام ٣٣٦هـ.



«وإذا أراد أهل البحرين التوجّه إلى اليمامة صعّدوا الطريق، فيكون عن يمينك «خرشيم»^١، وهي هضاب وصحراء مطّرحه إلى «الحفرين» وإلى «السّليحين»^٢، و«الحفران» هما حفر الرّمّانيتين، وهن من مياه «العَرَمَة»^٣، وأمام وجهك وأنت مستقبل مغرب الشمس مطلعك من الجيش. «فالحابسيّة»^٤، ثم «مزلقّة»^٥، مفعّلة، ثم «الموارد»، ثم «الفروق الأدنى»، ثم «الفروق الثاني»^٦، ثم تطلع من الفروق من الخوار؛ «خوار

١. خرشيم: لعل المراد بها (خُرْشَيْف): قال ياقوت: «خُرْشَاف: موضع بالبيضاء من بلاد بني جذيمه بسيف البحرين في رمال وعثة تحتها أحساء عذبة الماء عليها نخل بعل»، ويقول الجاسر في معجمه أنه: «بسيف القطيف». معجم البلدان ٢: ٣٥٩، حمد الجاسر، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية المنطقة الشرقية: (البحرين قديماً)، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ، ٢: ٥٩٨.

٢. يعرفان الآن باسم (سَلْح ورويغب)، وهما منهلان يقعان غرب الدهناء، قال صاحب المعجم: «وهي هجرة من هجر البادية، للسهول لآل منجل، والمحانية منهم في أعلى شعب من شعاب وجه العرمة الغربي، وبأسفله أبارق شقر تضاف إليه، فيقال (شُقران رويغب) وعند الأقدمين يجمع مع ماءها (السّليح) فيقال: «السّليحَيْن، كالحفرين، قال الهمداني: إلى الحفرين وإلى السّليحين»، بن خميس، عبد الله بن محمد، معجم اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م، ١: ٤٩٠.

٣. العَرَمَة: ماءٌ عدّ، يقع في ناحية الرقاش الشرقية، شمال وادي القمر، وسمّي بهذا الاسم نسبة إلى مالكة العرم الشيباني، وهو في أطراف بلاد عتيبة مما يلي بلاد الدواسر، جنيدل، سعد بن عبد الله، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية عالية نجد، دار اليمامة، الرياض، ط. ١. (د.ت) ٣: ٩٣٨.

٤. الحابسية: لعلّه يقصد من: أحباس، تجعل للماء، والحبس الماء المستنقع، وقيل الحبس حجارة تبنى على مجرى الماء لتحبسه للسارية، ويسمى الماء، معجم البلدان مصدر سابق ٢: ٢١٣.

٥. قولهم مكان زلق أي دحض، وزلقت رجله تزلق زلقاً، والزلاقة: الموضع الذي لا يمكن الثبوت عليه من شدة زلقه، والتشديد للتكثير، معجم البلدان، مصدر سابق ٣: ١٤٦.

٦. لعل مراده وادي الفروق وهو يقع في الجزء الجنوبي الغربي من إقليم الأحساء، انظر: القحطاني، الدكتور حمد محمد، الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في إقليم الأحساء ١٢٨٨-١٣٣١هـ/ ١٨٧١-١٩١٣م، ذات السلاسل: الكويت، ط. ١٤٣٢، ١هـ-٢٠١٢م: ٣٠.



الثَّلَع»، ثم «الصَّليب»، وعن يمينك الصَّلب؛ صُلب المَعَى و«البُرقة»؛^١ بُرقة الثور.^٢
ثم «الصَّمان»^٣... ثم ترجع إلى طريق «زُرِّي»^٤ قاصداً إلى اليمامة، فمن عن يسارك
الدبيب: ماء يسمى بالدبيب،^٥ وأنت جائز بالصحصحان،^٦ ومن عن يمينك ماء،^٧
يقال له الدَّحْرُضِي،^٨ وفيه يقول عنتره:

شَرِبْتُ بِمَاءِ الدَّحْرُضِيِّنِ فَأَصْبَحْتُ زَوْرَاءَ تَنْفُرٍ عَنِ حِيَاضِ الدَّيْلَمِ

١. أبرق: الجبل أو الحزم تكسوه رقعة من الرمال فيتكوّن من ذلك لونان يطلق عليه أبرق وجمعه أبرق، ويقصد بذلك ما لمع من أشعة الشمس. الصَّمان، مصدر سابق ١: ١٥٥.
٢. برقة الثور: قال ياقوت: برقة الثور: قال أبو زياد: برقة الثور جانب الصمان، معجم البلدان، مصدر سابق ١: ٣٩٢.
٣. تقع هضبة الصَّمان في الجزء الشرقي من الجزيرة العربية بين درجتي (٢٨٢٤)، ويبلغ طولها ٥٠٠ كم، ومتوسط عرضها ١٠٠ كم تقريباً، وينحدر سطح الصَّمان نحو الشرق والشمال قليلاً (بمعدل ١ / ٧ متر في الكيل الواحد)، الصَّمان، مصدر سابق ١: ١٥٣.
٤. وهو لطريق المعروف بدرب القوافل المسمى زري قديماً، ودرب مزاليح حديثاً. وهو كالتالي من اليمامة إلى الأحساء والعكس صحيح: يبدأ من الرياض ثم يمر بمورد (أبو جفان) في العرمة ثم يجتاز الدهناء ماراً بالمصليبخ ثم المسونية، ثم الثفنة والبيضة ثم الصلب ثم بالمخني ثم ربيداء ثم الشعب والفروق ثم النعلة والغوار حتى منهل ويسة إلى الأحساء، الصَّمان، مصدر سابق ١: ١٥١.
٥. الدبديبة: تقع شرقي الصمان وهي بين البصرة واليمامة.
٦. صحصح: جمعها صحصاح، وهي الأرض الواسعة الجرداء المسنوية، الصَّمان، م. س. ١٧٧.
٧. وكلامه هنا غير صحيح، فقد باعد بين وسيع و دحرض حيث وضع دحرض في الصحصحان قرب الصَّمان، وهذا لا يستقيم فليس قرب الصَّمان في طريق الأحساء أي آبار معتبرة حتى هو نفسه قال في موضع آخر: «وليس بالصمان ماء عدلاً ما كان مياه العرمة قربها»، راجع الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب، صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد بن علي الأكواع الحوالي، مكتبة الإرشاد: صنعاء، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م: ٢٥٢.
٨. ماء الدحضرين موردين في العرمة أحدهما اسمه دحرض والآخر اسمه وسيع وجمعاً بصيغة دحرضين، وهو في غرب الأحساء ناحية منطقة الفروق وما حولها.



ثم تقطع بطن قو^١ ثم السمراء^٢ وهو أرض سهب^٣، ثم تأخذ في الدهناء^٤، وهي هناك مسيرة يوم، وتثني من طريق «زري»، تأخذ على الشجرة^٥، وهي الشجرة ذي الرمة^٦، التي مات تحتها^٧، وكتب فيها شعره، ثم تخرج من الجبال والشقاق إلى العثا^٨، وهي

١ . الصحيح (الدو): وتسمى الدبدبة تقع شرقي الصمان، وهي بلد لبني تميم، قال ذو الرمة:

حتى نساء تميم وهي نازحةٌ بباحه الدو فالصمان فالعقد

المصدر: المضري، غيلان بن عقبة بن مسعود العدوي، ديوان ذي الرمة، شرحه وضبط نصوصه الدكتور عمر فاروق الطباع، دار الأرقم، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م: ١٥٣ .

٢ . لعله إشارة إلى حمراء كون تربة صحراء الدهناء حمراء، وقد عبر عنها هنا بسمراء.

٣ . أرض سهب: تعني الأرض مستوية.

٤ . صحراء الدهناء: هي صحراء رملية حمراء في الجزيرة العربية تمتد من النفود شمالاً إلى الربع الخالي، وهي عبارة عن شريط رملي ضيق يتراوح عرضه ما بين ٤٠ و ٨٠ كم، ويمتد على شكل قوس من الشمال إلى الجنوب لمسافة تزيد على ١٠٠٠ كم بمحاذاة جبل طويق. وتصل صحراء الدهناء بين صحراء النفود الكبير في شمال الجزيرة وصحراء الربع الخالي في جنوبها، كما تشكل عند الكثير من الجغرافيين الحد الفاصل بين إقليمي نجد والأحساء، وتشكل الدهناء من كثبان رملية عالية تمتد بشكل طولي وتسمى «عروفاً»، راجع معجم اليمامة، مصدر سابق: ٤٣٦ .

٥ . حيث كانت وصية الشاعر ذو الرمة أن يدفن بديار بني تميم، على كثبان حُزوى، وهي ديار محبوبته ميّة، ديوان ذي الرمة، مصدر سابق: ٥ .

٦ . ذو الرمة: هو غيلان بن عقبة بن نهبس بن مسعود العدوي الربابي التميمي، كنيته أبو الحارث، وذو الرمة شاعر عربي من الرباب من تميم، من شعراء العصر الأموي، ومن فحول الطبقة الثانية في عصره (٧٧-١١٧هـ) ديوان ذي الرمة، مصدر سابق: ٥-١٦ .

٧ . دفن في رمال حزوى: وتقع رمال حزوى شمال شرق مدينة الرياض بـ: ٢٥٠ كيلاً، شمال مدينة رماح ويربط بين رماح والبلدان الناشئة بالصمان خط إسفلتي يمر ببلدة شوية وبلدة حزوى (العمانية) ورمال حزوى يحف بالبلدتين؛ ويقع القبر في أعلى قمة من رمال حزوى مطل على خبراء (خسيفة) التي غسلوه وصلوا عليه فيها، ثم حملوه إلى قبره الذي حفروه في الرمال وبطنوه بأغصان الأشجار والمدر الطين اليابس (اللبن) حسب وصيته.

٨ . عثا: هي الأرض الرملية، قال ذو الرمة:

تريك وذا غدائر واردةٍ يصبن عثا حجابات سود

ديوان ذي الرمة، مصدر سابق: ١٥٥ .



السلاسل وأنت في ذلك تأخذ طريقاً يقال لها الخلل^١؛ خلّ الرمل فأول ما تردده من العرمة من عن يسارك. قلت هبل، وهي تنكش وتعضب سريعاً^٢، ومن عن يمينك قلات يقال لها النظيم^٣؛ تنظيم الجفنة، ومن عن يمين ذلك على ميسرة الشباك^٤، شباك العرمة والغرابات^٥.

ثم تقطع العرمة فترد وشيعاً^٦؛ وهو من مياه العرمة^٧، إلا أنه مفضي في ناحية

١. الخلل: هو الطريق النافذ بين الرمال المتركمة والجمع: أخلّ، وخلال. قال زهير بن أبي سلمى:

ظلت على نيسم (خلّ) جازع صعب الصعود صبب المطالع، الصّمان، مصدر سابق: ١٦٩.

٢. ينكش: يزف ويغيض، وتعضب: تنقطع.

٣. النظيم: ما انتظم من أي شيء مثل الخباري أو الأجواء كالجواء النظيم بالصمان، م. س.: ١٩٠.

٤. ينكش: يزف ويغيض، وتعضب: تنقطع.

٥. الغرابات: جمع غرابة: موضع في شعر لبيد وهي أمواه لخزاعة أسفل كلية، وقال الحفصي:

الغرابات قرب العرمة من أرض اليمامة، وأنشد الأصمعي:

لمن الدار تعفَى رسمُها
بالغرابات فأعلى العرمة

معجم البلدان، مصدر سابق ٤: ١٨٩.

٦. المراد هنا ماء وسيع الذي بالعرمة المذكور سابقاً، وقد يطلع عليه (وشيع) بالشين بدل السين، قال

ياقوت: والوشيع: خشبة غليظة توضع على رأس البئر. في نوادر أبي زياد: وسيع، بالسين مهملة، هو

ماء لبنى الزبرقان قرب اليمامة. وجاء في معجم اليمامة: وما (وشيع) و(وسيع) إلا منهلاً واحداً في

جنوب غرب العرمة الجنوبية، ووادي وسيع ينحدر من ظهر العرمة الجنوبية متجهاً للجنوب الغربي

ويصب فوق الروضة (التوضيحية). معجم اليمامة ٢: ٤٤١. معجم البلدان، م. س.: ٥: ٣٧٨.

٧. ويعني أبو جفان: وهو منهل قديم من مناهل (العرمة) الجنوبية، يرده المسافرون على الإبل بين

(الرياض) و(الأحساء)، وهو إلى (الرياض) أقرب وآبار (أبو جفان) تقع على خط العرض

٥٠/٣٠/٢٤ وخط الطول ٠٢/٤٣/٤٧ وعدد آباره الظاهرة الآن أربع وعشرون بئراً أشهرها

تسمى (القموص). ويبعد (أبو جفان) عن (الرياض) مئة كيل جهة الشرق. ويبدو أن (أبو جفان)

يحمل هذا الاسم منذ القدم، فقد يبدأ المتقدمون بعض أسماء الأماكن بكلمة (أبو) أو (أم) مثل

قولهم (أم أو عال) (٢٢٧) وأن سبب سميته بهذا الاسم وجود قلات تنتظم أسفل الوادي قبل

انحداره مع منحدر جبال (العرمة)، وهذه القلات مدورة الشكل منها واحدة فوهتها مستديرة

كالجفنة (القصة) والعرب يسمون القلات المتقاربة المتتابعة في المجرى المائي النظيم.



القاع،^١ وفيه يقول الرّاجز:

كأنها إنّ وردت وشيعاً خيطان نبع كتمت صدوعا

ثم تسير في السّهباء،^٢ ثم تقطع جيلاً قريباً يقال له أنقد،^٣ ثم الروضة.^٤

ثم ترد الخضرمة؛^٥ جوّ الخضارم مدينة وقرى وسوق، فيها بنو الأخيضر بن يوسف، وهي دار بني عدّي بن حنيفة، ودار بني عامر بن حنيفة، ودار عجل بن لجيم، وديار هودّة بن علي السّحيمي الحنفي، وهي أول اليمامة من قصد البحرين.^٦

١. القاع: هو ما انبسط من الأرض الحرة السهلة الطين التي لا يخالطها رمل فيشرب ماءها، وهي مستوية ليس فيها تطامن ولا ارتفاع، والمقصود هنا في ناحية العرمة. معجم البلدان، م.س. ٢٩٨: ٤.

٢. معنى سهب: السّهْبُ: الفلاةُ جمعه سهب وقال الفضل بن العباس اللّهبي:

وَنَحْلُ مِنْ تِهَامَةَ كُلِّ سَهَبٍ نَقِي التُّرْبِ أَوْ دِيَّةً رَحَابَا

ويقول صاحب بن خميس في المعجم: السهباء بلاد حنيفة، وهي منطقة واسعة في الخرج وروضة من أكبر رياض (اليمامة)، هي منخرق وادي حنيفة، مدفع سيوله يكبر سيوله أحياناً ويعظم، ثم ينتهي بهذا المنخرق فيتبدد ويضيع. والسهباء على مقربة من (الخضرمة) قسبة اليمامة، وقاعدتها الحضارية الأولى أيام بني حنيفة، وأيام بني الأخيضر، معجم اليمامة، مصدر سابق ٢: ٣٩.

٣. وتطلق عادة مع كلمة برقة فيقال (برقة أنقد)، قال ياقوت: قال الحفصي: أنقد جبل باليمامة. معجم البلدان ١: ٣٩١.

٤. الروضة: بلدة أكبر وأشهر بلدان سدير وأقدمها، أعلى بلدة في وادي (القصي)، ما عدا قرية صغيرة تدعى (المعشبة)، فالروضة أول بلدة تستقبل سيل هذا الوادي. معجم اليمامة، م.س. ١: ٤٨٥.

٥. قال أبو عبيد البكري في معجم ما استعجم: «خضرمة»: موضع مذكور في رسم اللهبابة، ورسم الغورة. وقال الأصمعي: الخضرمات: ركايا باليمامة، وأنشد للعجاج:

إذ حسبوا أنّ الجهاد والظفر إضباع بين الخضرمات وهجر

وقال الصولي: خضرمة: قرية باليمامة، وتقع (الخضرمة) في جو أسفل وادي الخرج في الموضع الذي تقوم فيه بلدة (اليمامة) في العهد الحاضر، أو قريب من ذلك الموضع. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، مصدر سابق ٢: ٥٠١؛ معجم اليمامة، مصدر سابق ١: ٣٨٨.

٦. صفة جزيرة العرب، مصدر سابق: ١٣٨. ١٣٠



وفي هذا الموجز حول طريق الحاجّ أشار إليه عدّة نقاط مهمّة جديدة بالإشارة:

* إنّ المصطلحات المستخدمة قديماً تختلف عنها المستخدمة اليوم، لذا يصعب فهم الكثير من المسميات القديمة نتيجة لتغير اسمها مع مرور الزمن.

* نلاحظ الدقة لدى القدماء وأبناء الصحراء في تسمية أجزاء الصحراء وأبعادها يمنية ويسرى، بحيث يسير العارف بها ويعلم بكلّ جزء منها مما يجعله عارفاً بميزات كلّ جزء فيها ويفرقه عن غيره، وهو ما يطلق عليه (منازل)، وله عدد معين معروف بينهم، وهي بمثابة مسافات يعرفون من خلالها كم مضى من الطريق وكم بقي منه؟

* وجود عدد من الآبار ومنابع المياه طوال الطريق قام البداية والوالة ورجال الخير بحفرها ليتتفع بها رواد هذه الطرق يعرفون مواقعها وله مسميات خاصة بها تميزها عن غيرها، إضافة إلى مواقع زراعية وأماكن مرعى تساعد على تغذية الإبل والرواحل في طريق الحجّ ومسير القوافل.

* معظم الأراضي التي في طريق الحاج تسيطر عليها مجموعة من القبائل تعدّ هذه الصحاري مسكنها ومعروفة بها منذ مئات السنين بينها وبين القبائل المجاورة تحالفات ومعاهدات بعدم التعدي على المساحات التابعة لها.

* بعض المواقع ارتبطت بأحداث تاريخية سواء معارك أو قبور أو غيرها مما يجعلها معروفة بين أرباب البادية، كما يوجد أسواق ومراكز يجتمع فيها أهل البادية، وتاريخها ربما يعود إلى العصر الجاهلي، وقد ذكر بعضها، وهي مما تستفيد منه القوافل في طريقها بحيث تنزود بالمؤمن ولوازم السفر.

* ولعلّ المشكلة في الوصف الجغرافي لبعض المعالم، عدم تطابق معاني بعض المصطلحات المستخدمة في القرن الثالث الهجري مع المصطلحات الحديثة أو المتأخرة، نتيجة لاستخدام أسماء جديدة أصبحت غير مألوفة في القرون المتأخرة؛ لذا نجد اضطراب في شرح بعض المسميات مما أدخلنا في احتمالات قد يكون بعضها خاطئاً.



المرحلة الثانية: من اليمامة إلى ضريبة:

أختلف في سبب تسمية (ضريبة) إلى أقوال عديدة، منها:

نسبة إلى ضريبة بنت ربيعة بن نزال بن معد بن عدنان، وربما سميت ضريبة نسبة لبرها. وضريبة من المناطق القديمة، وهي من أشهر المناطق التي على طريق حجّاج البصرة والبحرين قديماً ففيها ملتقى طرق التجارة والحج.

ونبتت أهميتها لسببين:

* الأول: كونها أصبحت مركزاً للحمى الذي حماه عمر بن الخطاب لإبل الصدقة وأصبح يعرف باسمها، فيقال: حمى ضريبة.

* الثاني: كونها من أهم محطات طريق الحاجّ البصري إلى مكة المكرمة.^١

وضريه من المناطق الغنية بالمياه والخيرات، وهي قرية عظيمة غنّاء يطؤها الطريق، فيها بنو عامر والنجار، وعامتها لآل جعفر بن سليمان.

وتعدّ صقعاً واسعاً بنجد ينسب إليه الحمى يليه أمراء المدينة وينزل به حاجّ البصرة بين الجديلة وطخفة، بينما ذهب البعض بأنها قرية لبنى كلاب على طريق البصرة وهي إلى مكة أقرب.^٢

وهي المرحلة التي أشار إليها ابن رسته بأنه ملتقى حاجّ البصرة والبحرين، وتكمن أهمية هذه الإشارة - وإن كان أوجز في كلامه - إنّ طريق حاجّ البحرين في المنازل والمراحل بين مكة وضريبة هي نفس مراحل ومنازل طريق حاجّ البصرة، وهو بهذا أعطانا مفتاحاً مهماً لبقية الطريق لحاجّ البحرين.

١. العبودي، محمد بن ناصر، معجم بلاد القصيم، [د.ن.]، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م،

١٤٠٦/٤.

٢. معجم البلدان، مصدر سابق ٣: ٤٥٧.



فطريق حاجّ البصرة كانت هناك عناية خاصّة به وإشارات كثيرة إليه في جميع مراحلها لأنه سار عليه العديد من الخلفاء خلال الدولة الأموية والعباسية وكبار الشخصيات العلميّة والتاريخية، لذا كان إكمال الحلقة سهل بهذه الإشارة الهامة.

يقول ابن رسته (ت نحو ٣٠٠هـ)^١، في بيان الطريق من البحرين إلى مكة في (الأعلاق النفيسة): «تخرج إلى اليمامة ومن اليمامة إلى الضريّة^٢، ومن الضريّة إلى مكة، والضريّة ملتقى حاجّ البصرة والبحرين، هناك يفترقون إذا انصرفوا من الحجّ، يأخذ حجّاج البصرة ذات الشمال، وحجّاج البحرين ذات اليمين»^٣.

ومن خلال هذا التعريف وما ذكره الجغرافيون عن ضريّة، وما ذكره ابن رسته بأنها ملتقى الحاجّ، ندرك أهمية هذه البلدة وذلك لعدة أمور:

* وجود عدّة قبائل في محيطها: وهذا يعني وجود سوق مفتوح ومكان للتموّل والتزوّد، وأخذ الحاجيات الضرورية لمواصلّة السفر وإكمال الطريق.

* توفّر الماء: فقد ضمّت المنطقة بئر ماء حتى قيل إنه سميت باسمه، وهو من أهمّ مستهدفات المسافرين للتزوّد بالماء وسقي الرواحل.

* وفرة المزارع والغطاء النباتي فيها: تعد «ضريّة» من الأراضي الغنيّة بالمياه والأشجار والخيرات، حيث وصفها الرحالة «وهي قرية عظيمة غنّاء يطؤها الطريق»^٤.

١. أحمد بن عمر، أبو علي ابن رسته (ت نحو ٣٠٠هـ/ نحو ٩١٢م) هو جغرافي فارسي، من أهل إصفهان. حجّ سنة ٢٩٠هـ وصنف كتاب «الأعلاق النفيسة»، وصف بها الكثير من المدن والبلاد؛ الكتاب يقع في سبعة أجزاء، لكن لم يصلنا منه إلا الجزء الأخير.

٢. تقع منطقة ضريّة بمنطقة القصيم، وهي تبعد عن الرس ١٥٠ كم، وتبعد عن عفيف ٩٠ كم، وعن الدوادمي ١٩٠ كم.

٣. ابن رسته، أبو علي أحمد بن عمر، الأعلاق النفيسة، مطبعة برييل: مدينة ليدن، الطبعة الأولى: ١٨٩١م: ١٨٢.

٤. معجم البلدان، مصدر سابق ٣: ٤٥٧.



المرحلة الثالثة: من ضريبة إلى مكة:

بعد الإشارة المهمة التي قالها ابن رسته أصبح باقي الطريق لحاجّ البحرين في القرن الثالث الهجري واضحاً وجلياً، وأبرز من أشار لطريق حاجّ البصرة من ضريبة إلى مكة المكرمة والذي هو نفسه طريق حاجّ البحرين هو «ابن خرداذبه». وهذه المرحلة تتكوّن من عشر منازل، بعدها الوصول إلى مكة المكرمة التي هي الغاية والهدف ونهاية الطريق:

يقول ابن خرداذبه،^١ في (المسالك والممالك) عن طريق حاجّ البصرة:

«ثم إلى ضريبة»:

وقد سبق الحديث عنها والتعريف بها.

«ثم إلى جديلة»:

وجديلة: مكان في طريق حاجّ البصرة، وهي من مياه بني وبر بن الأضبط بن كلاب. وجديلة: منهل من مناهل حاجّ البصرة،^٢ وأبرقا حجر: جبلان على طريق حاجّ البصرة بين جديلة وفلجة.^٣

«ثم إلى فلجة»:

منطقة على طريق الحاجّ يوجد بها بئر ماء وهي لبني العنبر،^٤ وتعدّ «فلجة» منزل

١. أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله ابن خرداذبه (نحو ٢٠٥- نحو ٢٨٠هـ) مؤرخ وجغرافي اشتهر بكتابه الجغرافي كتاب المسالك والممالك، الذي وصف فيه المسافات بين البلدان وقد عمل في خدمة الخليفة العباسي المأمون.

٢. معجم البلدان، مصدر سابق ٢: ١١٥.

٣. م. ن. ٢: ٢٢٣.

٤. م. ن. ٤: ٤٢.



على طريق مكة من البصرة بعد أبرقي حجر وهو لبني البكاء، وموقعها بالتحديد في طريق البصرة بعد الزجيج، عرفت بمائها المالح.^١

* «ثم إلى الدثينة (الدثينة)»:

الدثينة والدثينة منزل لبني سليم، بعد فلجة من البصرة إلى مكة، ثم وجرة ثم نخلة ثم بستان ابن عامر ثم مكة.

كما أنَّ (الدثينة) ماء لبني سيار بن عمرو، كانت تسمى في الجاهلية (الدثينة) فتطيروا منها فسموها (الدثينة).^٢

* «ثم إلى قبا»:

قرية قباء أحد أحياء المدينة المنورة تقع جنوبي المدينة. يجري فيها وادي رانوءاء، كانت من قبل قرية مستقلة على طريق القوافل القادمة من مكة ثم امتد العمران إليها فاتصلت ببقية أنحاء المدينة، ويروى أنها سميت قباء ببئر كانت بها يقال لها قبار، فتطير الناس منها فسموها قباء. تتميز قباء بكثرة المياه الجوفية، وقربها، وخصوبة تربتها لذا تكثر فيها مزارع النخيل، والعنب، والبساتين.^٣

* «ثم إلى مران»:

على بعد أربع مراحل من مكة إلى البصرة، بينها وبين مكة ثمانية عشر ميلاً، وفيه قبر تميم ابن مر وقبر عمرو بن عبيد، وهي بين البصرة ومكة لبني هلال من بني عامر، وتعدّ قرية غناء كبيرة كثيرة العيون والآبار والنخيل والمزارع وهي على

١. معجم البلدان، مصدر سابق ٤: ٢٧٢.

٢. م. ن. ٢: ٤٤٠.

٣. م. ن. ٤: ٣٠٢.



طريق البصرة لبني هلال وجزء لبني ماعز وبها حصن ومنبر، ويسكنها أناس كثيرون.^١

* «ثم إلى وجرة»:

وَجْرَة: منطقة تاريخية، تعرف اليوم بـ: (قصر الخرابة)، بين مكة والبصرة، بينها وبين مكة نحو أربعين ميلاً، ليس فيها منزل، فهي مربى للوحوش، ووجرة (البركة)، والسبي (منطقة ركبة): مواضع قرب ذات عرق ببلاد سليم.

وهي على طرق الحجاج من البصرة إلى مكة بإزاء «الغمر» المعروفة اليوم بـ: (بركة العقيق، البركة، بركة زبيدة) والتي تعدّ من منازل طريق الحجاج الكوفي، منها يحرم أكثر الحجاج وهي سرّة نجد ستون ميلاً، لا تخلو من شجر ومرعى ومياه، يكثر فيها الوحوش.

وتعدّ من منازل الطريق لأهل البصرة إلى مكة، بينها وبين مكة مرحلتان، ومنه إلى بستان ابن عامر ثم إلى مكة.^٢

* «ثم إلى أوطاس»:

وأوطاس: وتعرف اليوم بـ: (أم خرمان)، واد في ديار هوازن فيه كانت واقعة حنين للنبي ﷺ، مع بني هوازن. الغور من ذات عرق إلى أوطاس، وأوطاس على نفس الطريق، ونجد من حد أوطاس إلى القريتين.^٣

كما أنّ أوطاس اسم يطلق على الصحراء الواقعة شمال شرقي عشيرة، على صفة

١. معجم البلدان، مصدر سابق ٥: ٩٥.

٢. م. ن. ٥: ٣٦٢.

٣. م. ن. ١: ٢٨١.



العقيق (عقيق عشيرة) من الشرق إلى قرب بركة زبيدة، يقع بسيان بطرفها الجنوبي، بها قصور، وأبيات، وحوانيت، وبركة، وثم مسجد يقال له مسجد عائشة، بناه عبدالصمد بن علي^١.

* «ثم إلى ذات عرق»:

ذات عرق وتسمي اليوم بـ: (الضَّرْبِيَّة) مكان بالبادية قرب عقيق الطائف، سُمِّي بذلك لعرق فيه والعرق هو الجبل، ويقولون إنه منتهى جبال تهامة يفصل بين جبال تهامة ونجد، وهو ميقات أهل العراق، وأهل المشرق قاطبة، ويبعد عن مكة بمرحلتين ونصف، بما يعادل مسافة ٩٢ كم عن مكة شمالاً، أما عن «أوطاس» فهو على مسافة عشرة أميال. وهي وادٍ تحدُّه من الشرق والغرب سلسلة من الجبال الضخمة والذي تتميز الأحجار المكونة له بأنها ذات لونٍ أسود ممزوج باللون الأحمر، وهذه الجبال متصلة بجبال الحرّة الشهيرة التي تحد وادي العقيق الشهير من جهة الغرب.

وذات عرق من الغور، والغور من ذات عرق إلى أوطاس، وأوطاس على نفس الطريق، ونجد من أوطاس إلى القريتين^٢.

وتعد (الضَّرْبِيَّة) أحد روافد مرّ الظهران الكبير الدائمة الجريان، يسيل وادي الضربية من جبلي ارثامة ومسولا، وأعلاه الشرافة، قراره أرض مرتفعة يسيل ماؤها الغربي الضَّرْبِيَّة والشرقي في سلحة فعقيق عُشير.

ويقع ميقات أهل العراق والقصيم (ذات عرق) في الضَّرْبِيَّة حيث يقطعها درب المُنْقِي، فيها مياه وفيرة، ولها روافد متعددة منها: نجل والرصن، والصَّبِير، والمحفار،

١. معجم معالم الحجاز، مصدر سابق ١: ١٤٥.

٢. معجم البلدان، مصدر سابق ٤: ١٠٨.



* «ثم إلى بستان ابن عامر»:

«بستان ابن عامر» عند مكة، ويقال له: بستان ابن معمر، وهو مجتمع النخلتين اليمانية والشامية. بينما يرى بعضهم العكس، بستان ابن عامر بنخلة، هو عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة. وغير صحيح: بستان ابن معمر؛ وإنه قول العامة. وورد أيضاً بستان ابن عامر لعمر بن عبد الله بن معمر بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة بن كعب بن لؤي، ولكن الناس غلطوا فيه، فقالوا: بستان ابن عامر، وبستان بني عامر، وإنما هو بستان ابن معمر، نسب إلى ابن عامر الحضرمي، وآخرون يقولون: نسب إلى ابن عامر بن كريز.^٢

بينما يذهب البعض إلى كونها بستانين مختلفين، فبستان ابن معمر غير بستان ابن عامر وليس أحدهما الآخر، فأما بستان ابن معمر فهو الذي يعرف ببطن نخلة، وابن معمر هو عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي، وأما بستان ابن عامر فهو موضع آخر قريب من الجحفة، وابن عامر هذا هو عبد الله بن عامر بن كريز، استعمله عثمان على البصرة، وكان لا يعالج أرضاً إلا حفر فيها الماء.^٣

* «ثم إلى مكة»:^٤ وهي نهاية الرحلة إلى الديار المقدسة، حيث يتم القيام بالمناسك وأداء فريضة الحج.

١. معجم معالم الحجاز، مصدر سابق ٥: ١٠٣٥.

٢. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، مصدر سابق ١٤: ٣١.

٣. معجم البلدان، مصدر سابق ١: ٤١٤.

٤. المسالك والممالك، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبه، مطبعة بريل: مدينة ليدن، الطبعة

الأولى ١٨٨١م: ١٤٦-١٤٧.



طريق آخر:

ذكر ابن خرداذبه طريقاً آخر من اليمامة إلى مكة لا يمر على ضرية، حيث قال:
«فمن عدل من النَّباج، فإلى النَّقْرة».

الطريق من اليمامة إلى مكة من اليمامة إلى:

* العَرَض (العارض)، أو هامة تدعو الصّدى بين المشقّر واليمامة: العَرَض: هو
الجبل الممتد عَرَضاً في وسط الجزيرة، ويعرف بهذا الاسم في الوقت الحاضر، وبجبل
(طُوبِق) لبطويقه جزءاً من بلاد المنطقة الوسطى في الجزيرة.^١

* «ثم إلى الحديقة»: قد يكون مراده منطقة زراعية له اسم خاص، وقد عرّفها
بالحديقه، مما فوّت علينا تحديد مكانها.

* «ثم إلى السّيح»: من قرى الزلفي: وتقع مدينة الزلفي في إقليم نجد في أقصى
شمال منطقة الرياض على الحدود القصيمية الشرقية، وتبعد عن مدينة الرياض مسافة
٢٦٠ كم تقريباً شمالاً، وهي مدينة عامرة كبيرة ذات أسواق تجارية ونخيل ومزارع
و ذات أحياء متباعدة تقريباً.^٢

* «ثم إلى الثّنية»: تقع الثّنية في جبل العارض الذي تخترقه فجاج واسعة، منها
ينفذ إلى الأودية التي في جوفه، ومن أشهر تلك الفجاج (الأحيسي)، وفي أعلى هذا
الفتح عقبة، وتلك تسمى (ثنية الأحيسي)، ومنها ينفذ إلى (العَرَض) وهو وادي
حنيفة.^٣

١. الدرعية قاعدة الدولة السعودية الأولى، محمد الفهد العيسى، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى،
١٤١٥هـ / ١٩٩٥م: ١٣.

٢. معجم اليمامة، مصدر سابق: ٥٢٩.

٣. الدرعية عاصمة الدولة السعودية الأولى، مصدر سابق: ٢٣.



* «ثم إلى سقيراء»: ويعني (شقراء): تقع على بُعد حوالي ١٨٥ كم شمال غرب الرياض. وهي قاعدة الوشم وكانت شقراء نقطة توقف رئيسة على طريق الرياض / الطائف للحجاج. وتعدّ أكبر مدن الوشم من حيث التجميع السكاني والوشم معدود من أرض اليمامة.

* «ثم إلى السّدّ»: ولعلّ مراده (روضة سدير): تقع هذه الروضة في إقليم سدير الواقع في الجهة الوسطى من الجزيرة العربية وهي تابعة لمدينة الرياض، وتبعد حوالي ١٦٠ كم.

* «ثم إلى صداة»: لم تتمكن من التّعرف على مقصوده، ربما تغير أسمها مع مرور الزمن.

* «ثم إلى شريفة»: المراد غير معروف ولم أجد من المناطق ما يسمى بهذا الاسم.

* «ثم إلى القريتين»: من طريق البصرة.

* «ثم إلى المنازل التي قد مرّ ذكرها إلى مكّة»^١.

الطريق الثاني، في: «مختصر الجغرافيا الكبير»

وهو طريق كان يسير عليه الحاج الأحسائي خلال القرن الحادي عشر، ولعلّ سار عليه قبل هذا الزمن بعدة قرون، ذكره أبو بكر الدمشقي^٢ في كتابه: «جزيرة العرب

١. المسالك والممالك، مصدر سابق: ١٤٧.

٢. أبو بكر بن بهرام الخنفي الدمشقي (ت ١١٠٢ هـ)، جغرافي عثماني. ولد في دمشق ونشأ فيها ثم رحل إلى إسطنبول وأكمل دراسته هناك، وأتقن كثيراً من العلوم والفنون وتميز في الرياضيات بشكل خاص، وترقى في الدرجات العلمية. واتصل بالوزراء وكان مقرباً من الصدر الأعظم الوزير أحمد باشا الكبري المعروف بالفاضل، ثم تولى القضاء في حلب، وكان مشهوراً بفضل علمه، ألف أبو بكر للسلطان محمد الرابع مصنفاً ضخماً باللغة التركية بعنوان: «جغرافياي كبير» ويقع في ستة أجزاء وله موجز يقع في جزئين، ويعتقد بعض الباحثين أن لهذا الكتاب عنواناً آخر باللغة العربية هو: «نصرة الإسلام والسرور في تحرير أطللس مينور».



في كتاب مختصر الجغرافيا الكبير»، وعدّد فيه منازل الطريق التي يتوقف عندها الحاجّ. نذكرها مع بعض التعريف بها من خلال المصادر التي تتناول جغرافيا المنطقة. علماً أنّ هذا الطريق يؤخذ عليه عدّة ملاحظات، لعلّ من أهمها:

* إنّ المصنّف لم يعرف بالمناطق والنُّزل، ولم يذكر بعض معالمها، وإنما اكتفى بذكر أسمائها من خلال ما سمعه ممن سار على الطريق.

* إنّ المصنّف وقع في أخطاء كثيرة في مسميات المنازل المذكورة، ولعلّ مرجع ذلك عدم معرفته الدقيقة بالمنطقة، واختلاف اللهجات مما يجعل تعبيره عنها بلهجته قد يغيّر المسمّى، كما أنّ الكتاب كتب في الأساس باللغة التركية فترجمة المسميات من العربية إلى التركية قد يؤدي إلى تحريف في اللفظة أو تصحيفها بسبب اختلاف النطق كما هو معروف، ثم ترجمتها إلى العربية مرّة أخرى، مما ساهم في حدوث خلطٍ آخر، جعل الأسماء غير دقيقة في الكتاب.

* وكون المصنّف ذكر طريق حاجّ الأحساء هو إشارة إلى أنّ الطريق كان معروفاً ومشهوراً في تلك الحقبة، وكان يسلكه الحجاج القادمون إلى الحجاز من جهة المشرق، ولهذا أشار إليه ضمن طرق الحاجّ المعروفة في عصره.

طريق الحاجّ الأحسائي:

ويعتبر ما ذكره الدمشقي أبو بكر بن بهرام الدمشقي (ت ١١٠٢هـ) من أقدم المصادر التي وصلتنا وذكر فيها منازل رحلة الحاجّ الأحسائي وطريق سيره من الأحساء إلى الديار المقدسة، وقد ذكر منازل الحاجّ من الأحساء إلى مكة المكرمة عبر المناطق التالية:

«من الأحساء، إلى جودة، ثم إلى ضان، ثم إلى الدهناء، وهناك دخل مي (رمل الدحي)، ثم منه إلى (جبل أبي عرفة)، ثم إلى ملهم، ثم إلى الجفر، ثم إلى الررض



(العِرض)، ثم إلى الدرعية، ثم إلى الحيسية، ثم إلى مرارة، ثم إلى الشعراء، ثم إلى الخناج، ومنها إلى المرقب، ثم إلى المنخنا (المنحنى)، ثم إلى العبله، ثم إلى ركة، ثم إلى ذات عرق، ثم إلى مكة المكرمة^١.

فقد ذكر سبعة عشر منزلاً في الطريق إلى مكة المكرمة يعبر من خلالها الحاجّ الأحسائي، لتكون محطته بعدها مكة المكرمة.

وهو هنا كما ذكرنا سابقاً قد أوجز وذكر المناطق الرئيسية فقط التي يسلكها الحاجّ دون الإشارة إلى تفاصيل المكان والمسافة بين منزلٍ وآخر، لذا سنحاول التعريف بها:

* «من الأحساء إلى جودة»:

جُودة: ويسمّيها البعض (همراء جودة) منطقة غنية بالخيرات، تعدّ من أحسن مراتع البادية وأخصبها، فيها حقول زراعية، معظم عمل أهلها الزراعة والرعي، وأرضها رملية مستوية يسكنها بعض البدو يوجد بالقرب منها (جبل الجودي)، وهي تقع غربي مدينة الهفوف على بعد يصل إلى (١١٢) كم، باتجاه مدينة الرياض.

قال ياقوت الحموي: هي في بلاد بني تميم قال عبدة بن الطيب:

لولا يجودة والحي الذين بها أمسى المزالف لا تذكو بها نارُ
وقال جرير:

فَأَنْتَ عَلَى مَجُودَةٍ مُسْتَدَلِّ وَفِي الْحَيِّ الَّذِينَ عَلا لَهَا

يقول العبيد في «الموسوعة الجغرافية لشرقي البلاد العربية السعودية»: «لا يزال هذا الموضع معروفاً، ويقع في الشمال الغربي من المنطقة وإلى الغرب من عين دار. وفي

١. الدمشقي، أبي بكر بن بهرام، جزيرة العرب في كتاب مختصر الجغرافيا الكبير، تحقيق: مسعد سويلم الشامان، مركز حمد الجاسر، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٨ هـ، ٣٩٨-٤٠٠.



المصادر القديمة يسمى أحياناً: (بجودة) بالياء»^١.

* «ثم على ضان»: وهنا لعل المقصود (الصَّمان) بحسب المعلق على كتاب
الدمشقي،^٢ واعتماداً على الكثير من المصادر المشيرة لوقوعها على طريق الحاج
الأحسائي.

قال الزبيدي في تاج العروس: «الصَّمانُ: كلُّ أرض صلبة غليظة ذات حجارة إلى
جنب رمل، كالصَّمانَّة، سميت لصلابته وشدتها»^٣.

فمن أراد مكة عن طريق المنكدر توجه نحو القبلة وأخذ الصَّمان، والصَّمان على
ضفة فلج إلى الرمل، والدَّو من ناية، وسكنها بنو سعد وأخلاق تميم، يتراعون جميعاً،
وإذا أُجذبت قيس صارت إليه، وهو «طريق اليمامة»^٤.

وكانت الصَّمان في قديم الدهر لبني حنظلة والحزن لبني يربوع، والصَّمان متأخم
للدهناء»^٥.

تخرج من البصرة، فتسير إلى كاظمة ثلاثاً، وهي طريق المنكدر، لمن أراد مكة من
المنكدر. ثم تسير إلى الدَّو ثلاثاً، ثم تسير إلى الصَّمان ثلاثاً، ثم إلى الدهناء ثلاثاً،

١. العبيد، عبد الرحمن بن عبد الكريم، الموسوعة الجغرافية لشرقي البلاد العربية السعودية، نادي
المنطقة الشرقية الأدبي: الدمام، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م ١: ٢٦٤.

٢. جزيره العرب في كتاب مختصر الجغرافيا الكبير، مصدر سابق، الهامش: ٢٩٨.

٣. الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، الملقب بمرتضى (ت: ١٢٠٥هـ)، تاج العروس
من جواهر القاموس، دار الفكر: بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ/ ١٧: ٤١٧.

٤. كتاب المناسك وأماكن طرق الحاج ومعالم الجزيرة: لأبي إسحاق إبراهيم الحربي، تحقيق:
حمد الجاسر، دار اليمامة، الرياض، الطبعة الأولى ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م: ٥٧٣.

٥. القطيعي، عبد المؤمن بن عبد الحق، ابن شمائل (ت: ٧٣٩هـ)، مراصد الاطلاع على أسماء
الأمكنة والبقاع، دار الجيل: بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ/ ٢: ٨٥١، معجم البلدان، مصدر
سابق ٣: ٤٢٣.



والصَّمان: «جبل أحمر ينفاد ثلاث ليال، ليس له ارتفاع، وإنما سمِّي الصَّمان لصلابته»^١. كما تعدُّ هضبة مرتفعة شرقي الدهناء تمتدُّ شمالاً حتى تتصل بالبدببة والقرعة (القرعاء)، وتشتهر بدحولها التي تعتبر مخازن للمياه، وهي في الشمال أعرض منها في الوسط والجنوب، ويختلف عرضها من ٥٠-٩٠ ميلاً، ومتوسط ارتفاعها ١٢٥٠ قدماً، وطبيعة أرضها مختلفة فهي من الحجر الرملي، وفيها أحجار كلسية، وفيها سهول تنحدر إلى الشرق.

ومياه الصَّمان التي تشمل اللهابة واللصافة ووبرة، تسمى قديماً: وادي الشواجن^٢.

قال ابن المقرب العيوني:

فَمَا حَلَّ عَقَدَ السَّيْفِ حَتَّى أَنَاخَهَا ضُحَى بَعْدَارِ الْخَطِّ حَدْبَاءِ نَاجِلَا
أَلَمْ يَأْتِ مِنْ أَرْضِ (الشَّوَاغِنِ) يَحْتَطِي حَرَايِيَّ أَجْوَازِ الْفَلَا وَالْخَمَائِلَا

وقد ارتبطت صحراء الصَّمان منذ القدم إقليمياً بمنطقة الأحساء، وهي تخضع دائماً لحاكم منطقة الأحساء وذلك لقرب المنطقتين من بعضهما، وحاجة قبائل وحاكم الأحساء إلى مناطق خصبة لرعي الخيل والإبل والمواشي، وهذا ما تمتاز به صحراء الصَّمان، وقد قيل لابنة الخس: أي البلاد أمراً؟ فقال: «خياشيم الحزن وأجواء الصَّمان»^٣.

* «ثم إلى الدهناء، وهناك دخل مي»:

ويعني ثم إلى صحراء الدهناء: وحدوده الدهناء عبارة عن صحراء رملية متخذة شكل القوس الذي يمتد نحو ١٢٠٠ كم من جنوب شرق النفوذ إلى شمال الربع الخالي،

١. البكري، عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي (ت ٤٨٧ هـ)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا، عالم الكتب: بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٣ هـ، ٤: ١١٠٩.

٢. الموسوعة الجغرافية لشرقي البلاد العربية السعودية، مصدر سابق ٢: ٨٤.

٣. الصَّمان، مصدر سابق ١: ٢٧.



ويطلق مسمى الرميطة على نهايتها الجنوبية، وهو إسم محلي يعني قرب اندماج رمال الدهناء برمال الربع الخالي، وعرض الدهناء يختلف من مكان لآخر فمتوسط عرضها شمال وادي الباطن هو ٢٠م، وأمام وادي الباطن ترتبط الدهناء مع نفوذ المظهور ونفوذ الثويرات عبر عروق السيارات، والسبب في تراكم الرمال في هذه المنطقة أنها تقع إلى الشرق من مجرى وادي الرمة القديم، وإلى الشرق من خط طول ٤٥ شرقاً تنقسم الدهناء إلى قسمين، وتسمى المنطقة الفاصلة بالجندلية التي تعتبر أرض فياض وآبار.

وهي سبعة أجيل من الرمل في عرضها، بين كل جبلين شقيقة، وطولها من حزن ينسوعة إلى رمل يبرين، وهي من أكثر بلاد الله كلاً مع قلة أعذاء ومياه، وإذا أخصبت الدهناء ربعت العرب جمعاً لسعتها وكثرة شجرها، وهي عذاة مكرمة نزهة، من سكنها لا يعرف الحمى لطيب تربتها وهوائها، وهو منزل بطريق مكة من البصرة، صبحت به أقصاع الدهناء من جانبه الأيسر واتصلت أقماعها بعجمتها وتفرعت جبالها من عجمتها، وقد جعلوا رمل الدهناء بمنزلة بعير وجعلوا أقماعها التي شخصت من عجمتها نحو الينسوعة ثفنناً كثفن البعير، وهي خمسة أجيل على عدد الثفنات: فالجبل الأعلى منها الأدنى إلى حفر بني سعد، واسمه خشاخش لكثرة ما يسمع من خشخشة أمواهم فيه، والجبل الثاني يسمى حمامان، والثالث جبل الرمث، والرابع معبر، والخامس جبل حزوى^١.

وعرفها البكري الأندلسي قائلاً: «الدهناء: رمال في طريق اليمامة إلى مكة، لا يعرف طولها، وأما عرضها فثلاث ليال، وهي على أربعة أميال من هجر، ويقال في المثل: أوسع من الدهناء. وقد ذكرت الدهناء في رسم عالج، وفي رسم كاظمة، وعلم الدهناء»^٢.

١. معجم البلدان، مصدر سابق ٢: ٤٩٣.

٢. معجم ما استعجم، مصدر سابق ٢: ٥٥١.



حيث يوجد بها (دَحَل مَي)، ولعلّ في الأمر تصحيف من (رمل الدَّحِي)،^١ موضع يقع بالقرب من (الوشم)، الدليل سابقاً.^٢

والدَّحَل: تعني حفرة تكون في الأرض ضيقة الأعلى، واسعة الأسفل، تتجمّع فيها مياه الأمطار، وماؤها عذب.

قال صاحب معجم الياومة: «الدَّحِي: بفتح الدال المشددة، وكسر الحاء فياء (نفود الدحى) أو رمل الدحى، هو هذا الرمل المنقاد من فوهة (برك) غرباً إلى ما يقرب من وادي (العقيق) (عقيق تَمْرَة) أسفل (وادي الدواسر) وكان يسمك قديماً «الدُّبَيْل».^٣ * ثم منه إلى جبل أبي عرفة»: وقد ذُكر هذا الجبل في موضع آخر من كتاب الدمشقي فقال عنه:

«الدرعيّة وتقع على طريق الحاج الأحسائي وواديها متداخل ومتعرج جداً، وبلاد (العارض) تقع عليه وبالقرب منه جبل أبي عرفة».^٤

ومنه ندرك أنّ جبل أبي عرفة يقع بالقرب من الدرعيّة، إلّا أنّ المصادر والمعاجم الجغرافية المختصّة بالدرعيّة والعارض لا تذكر هذا الجبل، لذا لا يبعد أنه اسم آخر لأحد الجبال المعروفة في الدرعيّة وبلاد العارض.

ولعلّه يقصد أحد الجبال التالية القريبة من الرياض وما هو إلّا اسم آخر لأحدهم وهي:

جبل طويق، جبل جبلة، جبل قطن، الجبل الأصفر، جبل ثهلان، جبل اذقان، جبل ذريع، جبل كميث، جبل شمالات، جبل التوباد، جبل زعابة، جبل النير، جبل

١. جزيرة العرب في كتاب مختصر الجغرافيا الكبير، مصدر سابق، الهامش: ٢٩٨.

٢. كتاب المناسك وأماكن طرق الحاج، مصدر سابق: ٦١٩.

٣. معجم الياومة، مصدر سابق ١: ٤١٦.

٤. جزيرة العرب في كتاب مختصر الجغرافيا الكبير، مصدر سابق: ٢٨١.



البيضتين، وهي سلسلة جبال تحيط بالدرعية.

ويقصد بالعارض حالياً الرياض، والدرعية، وضرما، والعينة، والجبيلة، وسدوس،
والعمارية، ومنفوحة، والمصانع، وعرقه، والحائر.

تأتي أهميتها بالنسبة للحجاج الأحسائي العابر عليها في طريقة إلى بيت الله الحرام،
فهي غنية بالفواكه والخضار مما يجعلها مقصداً للحجاج، كما يشير إلى وفرة النخيل
فيها، مما يجعلها مستراحاً جميلاً ومقصداً للحجاج يلقي فيها عناء ومشقة الطريق، قبل
أن يعاود مسيرته من جديد.

* «ثم إلى ملهم»:

(ملهم) بفتح الميم وسكون اللام وفتح الهاء، تقع شمال مدينة الرياض بمسافة
تقدر بحوالي (٥٥ كم)، وهي من المناطق التاريخية العريقة التي تقع على طريق الحاج،
وهي شهيرة بمزارعها وخيراتها، ويعبر عنها الدمشقي بقوله: «... وملهم تبعد من
الأحساء بست مراحل، وهذه القرية متنزهٌ جميل جداً، ينبت فيها قصب السكر والتمر
والعنب والخوخ»^١.

فإذا كانت (المرحلة) مسيرة يوم على الإبل، فهذا يعني يستغرق طريق (الأحساء
ملهم) ما مقداره ستة أيام سيراً على ظهور الإبل.

وقد جاء في لسان العرب: «ملهم قرية باليَمَامَةِ؛ قَالَ ابْنُ بَرِّيٍّ: هِيَ لِبْنِي يَشْكُرُ
وَأَخْلَاطٍ مِنْ بَكْرٍ وَائِلٍ»^٢.

جاء في كتاب معجم البلدان: قال أبو منصور: ملهم وقران قريتان من قرى اليمامة
معروفتان، وقال السكوني: هما لبني نمير على ليلة من مرة، وقال غيره: ملهم قرية

١. جزيرة العرب في كتاب مختصر الجغرافيا الكبير، مصدر سابق: ٢٨١.

٢. لسان العرب، ابن منظور ١٢: ٥٦٥.



باليمامة لبني يشكر وأخلاق،^١ وقال بن عبدالحق: «... ملهم بالفتح، ثم السكون، وفتح الهاء. قيل: ملهم وقرآن: قرنتان من قرى اليمامة معروفتان. قيل: هي لبني نمير، وقيل: ملهم لبني يشكر وأخلاق من بكر، وبها يوم للعرب».^٢ وأرجع الدكتور جواد علي اسم (ملهم) إلى يوم (ملهم) وهي حرب نسبت لهذا المكان بين تميم وحنيفة.^٣

* «ثم إلى الجفر»:

يحتمل المحقق لكتاب الدمشقي أن مراده (جفر البعر)،^٤ وجفر البعر: ماء يأخذ عليه طريق الحاج، من حَجْر اليمامة، بقرب راهص، وهي منطقة آبار جاهلية قديمة، تقع جنوباً من ماء (الأروسة)، وهي غنية بالمياه، وهي من مياه أبي بكر بن كلاب بين الحمى وبين مهب الجنوب على مسيرة يوم،^٥ وقد ذهب لذلك أيضاً صاحب (مرصد الاطلاع).^٦

ومما يؤكّد كلام الدمشقي من أن منطقة (جفر البعر) تقع على طريق الحاج الأحسائي، وتعدّ معبراً ومستراحاً للحجاج حيث يستقون منها الماء ويروون إبلهم، ما ذكره الأصفهاني قائلاً: «ثم الجفر؛ جفر البعر، يأخذ عليه طريق الحاج من طريق ضجر».^٧

١. معجم البلدان، مصدر سابق: ١٩٥: ٥.

٢. مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، مصدر سابق: ٣: ١٣١٠.

٣. علي، الدكتور جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جامعة بغداد، الطبعة الثانية، ١٩٩٣م، ١٣: ٤٠.

٤. جزيرة العرب في كتاب مختصر الجغرافيا الكبير، مصدر سابق: ٣٩٩.

٥. المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية عالية نجد، مصدر سابق: ٥٣٥.

٦. مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، مصدر سابق: ١: ٣٣٨.

٧. م. ن. ١٤٨



ويحتمل أن المراد بـ: (جفر البعر) المكان المعروف اليوم بـ: (دمنان)، فقد ورد في المعجم الجغرافي لعالية نجد: «ويبدو لي أن هذا الماء هو الذي ذكره أصحاب المعاجم الجغرافية باسم (جفر البعر)، لأن كلمة دمنان بمعني ذو الدّمن، والدمن هو البعر». وقد استند بقوله هذا على قول ياقوت الحموي في تحديد المكان بقوله:

«جفر البعر، عن الأصمعي جفر البعر ماء يأخذ عليه طريق الحاجّ من حجر اليمامة، يقرب راهص. وعن أبي زياد الكلابي جفر البعر من مياه أبي بكر بن كلاب بين الحمى وبين مهب الجنوب على مسيرة يوم، وقال غيره: جفر البعر بين مكة واليمامة على الجادة، وهو ماءً لبني ربيعة بن عبد الله بن كلابج^١.

* «ثم إلى الربض»:

يميل محقق الكتاب إلى وجود اشتباه لدى المؤلف فيقول: «لعلّه بطن العرّض»، في الطريق من حَجْر إلى مكة، وذكر في كتاب: بلاد العرب للحسن بن عبد الله الأصفهاني: ٣٦٢ «فإذا نصلت من العرّض وصلت موضع يقال له الراحة... ثم تصير إلى ثنية الأحيسي»^٢.

والعارض: هو الجبل الممتد عَرَضاً في وسط الجزيرة، ويعرف بهذا الاسم في الوقت الحاضر، وبجبل (طَوِيق) لتطويقه جزءاً من بلاد المنطقة الوسطي في الجزيرة^٣.

وطرف العارض في بلاد بني تميم في موضع يسمى القرنين فتمّ انقطع طرف العارض الذي من قبل مهبّ الشمال ثم يعود العارض حتى ينقطع في رمل الجزء،

١. المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية عالية نجد، مصدر سابق ٢: ٥٣٤.

٢. جزيرة العرب في كتاب مختصر الجغرافيا الكبير، مصدر سابق: ٣٩٩.

٣. العيسى، محمد الفهد، الدرعية عاصمة الدولة السعودية الأولى، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة

الأولى ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م: ١٣.



وبين طرفي العارض مسيرة شهر طولاً ثم انقطع.^١
والعارض كما يقول الدمشقي في طيات كتابه:

«نجد العارض: هي مناطق واسعة، يقطعها جبل، يسمونه (جبل العارض)، والآن يسمى: (جبل العمارية)، له مدخلان: أحدهما من (العيننة)، والآخر من (الدرعية)، ويقولون: إن هناك ثلاثة آلاف قرية، وأهلها لا يخضعون لشريف، وبداية هذا الجبل تمتد من مسافة ثلاثة مراحل من (الحجاز)، ويمتد إلى الجهات الشمالية حتى (نجد العارض)».^٢

ثم يقول: «في وسط (العارض)، وعند هذا الجبل وإد يسمونه: (وادي بني حنيفة)، وفيه المياه وافرة وكثير الأشجار والنخيل، وهو متنزهات مبهجة، وعلى أطراف الوادي تصطف القرى، وفي أعلاه قصبه الدرعية».^٣

* ثم إلى الدرعية:

الدرعية: مدينة تقع على ضفتي وادي (العرض) الذي يخترق سلسلة جبال (العارض) في منطقة يطلق عليها الجغرافيون المتقدمون (العروض).^٤
وبلدة الدرعية منسوبة إلى الدروع، والدورع قبيلة استوطنت وادي حنيفة وحكمت حجر والجزعة، ودعا أحد حكامها (ابن درع) ابن عمه مانع المريدي للقدوم من عروض نجد إلى مراع وادي حنيفة، وسكن القادمون ما بين غصيبة والمليبيد، وبتاريخ قدومهم يؤرخ لتأسيس الدرعية عام ٨٥٠هـ.^٥

١. معجم البلدان، مصدر سابق ٤: ٦٦.

٢. جزيرة العرب في كتاب مختصر الجغرافيا الكبير، مصدر سابق: ٢٧٩.

٣. م. ن. ٣٨٠.

٤. الدرعية عاصمة الدولة السعودية الأولى، مصدر سابق: ١١.

٥. معجم الياقوت، مصدر سابق ١: ٤١٦.



وتقع الدرعية على بعد حوالي (٣٠٠ كم) عن الأحساء، ويجدها شمالاً محافظة حريملاء بمسافة (٧٥ كم)، وجنوباً محافظة ضرما بمسافة (٧٠ كم)، وتتوزع مساكنها على ضفاف وادي حنيفة، وروافده ما بين غصيبة في الشمال والمليبيد في الجنوب، ويلفها سورها القديم بتحصيناته وأبراجه الطينية.

بيّن أبو بكر بن بهرام الدمشقي أهمية الدرعية و موقعيتها من طريق الحاج الأحسائي بقوله: «... والدرعية تقع على طريق حجّج الأحساء، وواديها متداخل ومتعرج جداً وبلاد العارض تقع عليه، وبالقرب منه جبل أبي عرفة»^١.

* «ثم إلى الحيسية»:

الحيسية: عبارة عن شعيب وعر نسيباً يبعد عن الرياض (٥٠ كم)، أقرب منطقة إليه (العينية)، وفيه أشجار طلع كثيرة والمكان قريب من الرياض وجميل وقت الأمطار.

وتحديد موقع هذا الشعيب كما يذهب العيسى في قوله: «إنَّ جبل العارض يخترقه فجاج واسعة، منها ينفذ إلى الأودية التي في جوفه، ومن أشهر تلك الفجاج (الأحيسى) بفتح الهمزة والحاء وسكون والياء، والسين المفتوحة بعدها ألف مقصورة بصورة (ي)، وفي أعلى هذا الفج عقبة، وتلك تسمى: (ثنية الأحيسى)، ومنها ينفذ إلى (العرض) وادي حنيفة»^٢.

والأحيسى يعرف اليوم بـ: (الحيسية) وهو ما فوق (العينية) من وادي حنيفة، من أعلاه، مُهدت وأصبحت ترم منها السيارات، فما سال من هذه الثنية مشرقاً يصبُّ في وادي حنيفة، وما سال منها مغرباً تمده روافد أخرى، ويتكون منه وإيذهب مغرباً حتى يخترق خط الحجاز مما يلي منطقة (سَمْحَان) أعلى (صَرَمَى) وتتكون منه ومن

١. جزيرة العرب في كتاب مختصر الجغرافيا الكبير، مصدر سابق: ٣٨١.

٢. الدرعية عاصمة الدولة السعودية الأولى، مصدر سابق: ٢٣.

الأودية الأخرى التي تصب فيه سيول رياض ضرمى^١.

* «ثم إلى مرأة»:

تكتب قديماً (مرأة)، أما في المصادر الحديثة (مرات): وهي تقع في الجهة الشمالية الغربية لمدينة الرياض، في الجهة الجنوبية لمنطقة الوشم في إقليم اليمامة وعلى ارتفاع ٦٠٠ متر على سطح البحر، وتبعد عن مدينة الرياض (١٣٤ كم) تقريباً من (طريق القدية) وعلى بُعد (١٦٧ كم) تقريباً من (طريق ديراب)، كما تبعد عن مدينة شقراء بمسافة تقدر بنحو من ٣٥ كيلاً، وهي على طريق الحجاز القديم.

ذكرها الدمشقي ووصفها بقوله: «تبعد عن (الدرعيّة) بمرحلتين، بها مياه ونخيل»^٢.

واعتبرها ابن خميس في قوله عن «مرأة»: بلدة أثرية اشتهرت بأنها بلدة امرئ القيس، وهي بلا شك بلدة امرئ القيس ولكن ليس ابن حجر الكندي الشاعر الجاهلي المعروف، بل امرئ القيس التميمي، وهي قرية عرف أهلها بالطيب والكرم^٣.
ومن كان يسكنها هشام المرئي، فوقع خلاف بينه وبين ذوالمرّة فهجاه:

فَلَمَّا دَخَلْنَا جَوْفَ مَرْءَةٍ غُلِّقَتْ دَسَاكِرُ لَمْ تُرْفَعْ لَخَيْرِ ظِلَالِهَا
وَقَدْسُمِّيتْ بِاسْمِ امْرِئِ الْقَيْسِ قَرْيَةً كِرَامٌ صَوَادِيهَا لِئَامٌ رِجَالُهَا^٤

وتنطق كما يرى الأزهري، مرأة: بالفتح، بلفظ المرأة من النساء: قرية بني امرئ

١. معجم اليمامة، مصدر سابق ١: ٦٤.

٢. جزيرة العرب في كتاب مختصر الجغرافيا الكبير، مصدر سابق: ٢٨٢.

٣. بن خميس، عبد الله بن محمد، المجاز بين اليمامة والحجاز، منشورات دار اليمامة، الرياض، الطبعة الأولى ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م: ٥٠.

٤. معجم ما استعجم، البكري الأندلسي، مصدر سابق ٤: ١٢٠٤.



القيس بن زيد مائة بن تميم باليامة سميت بشطر اسم امرئ القيس، بينها وبين ذات غسل مرحلة على طريق النجاج.^١ وهي تقع بالقرب من (جبل كميث) وهو علامة بلدة (مرأة)، يقول عنه المثل الشعبي: (اضمن لي كميثاً أضمن لك مرأة)، وهي تقع في الناحية الجنوبية من جبل كميث.^٢

* ثم إلى الشَّعْرَاءَ:

الشَّعْرَاءَ: بلدة تقع في جانب جبل (ثهلان) من الشرق، غرب مدينة الدوادمي، على بُعد ٣٥ كم، وهي معروفة بهذا الاسم قديماً وحديثاً.^٣ وكانت بلاد الشعراء وما حولها مرتعاً طيباً للبوادي، وفير المراعي كثير المياه، فأصبحت بحكم هذا الموقع وتأثيره سوقاً تجارياً للبادية، وتوسّعت تجارتها، وكذلك فإنها تقع في طريق القوافل بين بلاد (العارض) و(الوشم) و(سدير)، وبلاد الحجاز وعليها يمر طريق حاج هذه البلاد.^٤

* ثم إلى الحنابج:

الحنابج: تقع على طريق عفيف البجدية، ويبعد مفرقها عن عفيف (٣٠ أو ٣٥ كم تقريباً)، ومن المفرق إلى نفس الديرة (٢٠ إلى ٢٥ كم تقريباً).

يقول المؤرّخ حمد الجاسر: «وهي ماءٌ قديم، أحساء كثيرة في واد داخل جبل النّير، والنّير كما يقول الهجري جبال كثيرة سود قنان وقران وغيرهما، بعضها إلى بعض وسعتها قريب من مسيرة يوم للراكب. ومن النّير تخرج سيول (التسرير) وسيول

١. معجم البلدان، مصدر سابق ٩٦:٥.

٢. المجاز بين اليامة والحجاز، مصدر سابق: ٤٩.

٣. المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية عالية نجد، مصدر سابق: ٧٦١.

٤. م. ن.: ٧٦٤.



(نَضَاد) و(ذِي غُثْث) في وادٍ يقال له ذو بحار.^١ ومن أسماء عيون النّير ومياهه: الحنج، والحنج، والحنبيج، ثلاثة منابع للماء يقال لها الحنابج،^٢ وكما يقول الهمداني: فإنّ من مياه النّير الحنابج».^٣

* «ومنها إلى المرقب»:

المرقب: وهي قرية باليامة، أو (الرقبية) المذكورة في نزهة المشتاق، أو هي (المرقبة) اسم جبل لهذيل.^٤

* «ثم إلى المنحنى»:

هو اسم يطلق على وادي أشيقر أحد الأودية التي تسيل شمالي منطقة شقراء، وقد ذكرها ناهض ابن ثومة في شعره فقال:^٥

فما العهد من أسماء إلا محلة كما خطّ في ظهر الأديم الرواقش
 (برمحين) أو (بالمنحنى) دبّ فوقها سفاالريح أو جزعٌ من السيل خادش

* «ثم إلى العبلة»:

يميل المحقّق والمعلّق على كتاب الدمشقي إلى أنّ مراده هو منطقة (العبلاء)،^٦

١. الجاسر، حمد، ترتيب: التعليقات والنوادر عن أبي علي هارون بن زكريا الهجري، دراسة ومختارات، القسم الثالث: المواضع، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م: ١٤٢٨.
٢. معجم البلدان، ياقوت الحموي ٢: ٣٠٩.
٣. صفة جزيرة العرب، مصدر سابق: ٢٦٠.
٤. جزيرة العرب في كتاب مختصر الجغرافيا الكبير، مصدر سابق: ٣٩٩.
٥. المجاز بين اليامة والحجاز، مصدر سابق: ٦٠.
٦. جزيرة العرب في كتاب مختصر الجغرافيا الكبير، مصدر سابق: ٣٩٩.



المنطقة المعروفة منذ العصر الجاهلي بالطائف.

والعبلاء: اسم علم لصخرة بيضاء إلى جانب عكاظ،^١ وهي قرية من قرى الطائف.

يقول أبو بكر بن بهرام في كتابه «جزيرة العرب في كتاب مختصر الجغرافيا الكبير»: وكذلك قرية تسمى (العبلاء) وفيها الطائف تسكن قبائل بني صخر، وبني سعد، وقبائل هذيل، وكانت قبيلة ثقيف تسكن هذه البلدة».^٢

أما العبيلاء: فهي قرية ومزرعة لعدوان في أسفل وادي ليّة، يشرف عليها من الشرق جبل مروان، مرورة بيضاء، وقريب منها شمالاً شرقياً (العبل) وهو ما كان يعرف بالعبلاء.

وكانت العبيلاء مقرّ عثمان المضايقي وزير الشريف غالب أمير مكة وصهره، اتخذها للدعوة ضد غالب، وحشد الجيوش لقتاله موالياً بذلك عدوّه ابن سعود.^٣ فالخلاصة أنّ العبيلاء منطقة أو قرية على مقربةٍ من الطائف، تمتاز بكثرة المزارع والنخيل، ما جعلها مقصداً للأعيان والسائرين على درب الحاج، لأجل الاستراحة فيها والتزوّد منها، ولهذا فقد كان حاج الأحساء يأخذ مؤنّته منها وهو في طريق رحلته إلى الديار المقدسة.

* ثم إلى ركة:

وهي بلد متصلة بعكاظ، وبها عين تسمى عين (خليص)،^٤ وهي قرية من

١. المجاز بين اليمامة والحجاز، مصدر سابق: ٢٤٠.

٢. جزيرة العرب في كتاب مختصر الجغرافيا الكبير، مصدر سابق: ٢٢٦-٢٢٧.

٣. معجم معالم الحجاز، مصدر سابق: ٦: ١١٠٩.

٤. المجاز بين اليمامة والحجاز، مصدر سابق: ٢٤٠.



(العبلاء) بالطائف، ويبدو أنها كانت ذات مكانة اقتصادية جيدة، حيث كان يجبي منها الخراج إلى والي اليمامة،^١ في العصور المتقدمة. وركبة: من المناطق السهلية التي تعدّ من معابر الحاجّ، وهم على مشارف منطقة الحجاز حيث الديار المقدسة، قال كثير:^٢

أناديكما حجّ الحجيحُ وكبرتُ بفيها غزال رفقةً وأهلّت
وما كبرت من فوق (ركبة) رفقةً ومن ذي غزال أشعرت واستهلّت

وعرّفها عاتق البلادي في معجمه قائلاً: «رُكبة: بضمّ أوله وسكون ثانيه وباء موحدة، بلفظ الركبة التي في الرجل من البعير وغيره، وقال ابن بكير: هي بين مكة والطائف، وقال القعبي: هو وادٍ من أودية الطائف، واعتبرها البعض جبل بالحجاز، ويراه الزمخشري مفازة على بعد يومين من مكة يسكنها اليوم عدوان.

سكنها بني ضمرة، وكانوا يجلسون إليها في الصيف ويغورون إلى تهامة في الشتاء، بذات نكف، بينما يراها البعض بأنها على طريق الناس بين مكة والطائف.^٣

* ثم إلى ذات عرق*:

ذات عرق ميقات أهل العراق ومن جاء عن طريقهم، ويبعد عن مكة مسافة ٩٢ كم شمالاً، وهو من مواقيت الحج.

وهي مكان بالبادية قرب عقيق الطائف، سمي بذلك لعرق فيه، والعرق هو الجبل، ويقولون إنه منتهى جبال تهامة يفصل بين جبال تهامة ونجد، وهو ميقات أهل العراق ومن وراءهم من أهل المشرق كأهل خراسان وغيرهم. وهي مندثرة اليوم، ويحرم الحجاج الذين يأتون في السابق على الإبل من «الضريبة» التي يقال لها

١. م. ن. : ١٥.

٢. م. ن. : ٢١٣.

٣. معجم معالم الحجاز، مصدر سابق ٤: ٧٠٥.



اليوم «الخرىبات».

وهي منطقة تقع في نهاية نجد باتجاه الحجاز، قال ابن الأعرابي: «نجد ما بين العُدَيْبِ إلى ذاتِ عِرْقٍ»،^١ وبداية تهامة من ذاتِ عِرْقٍ إلى مرحلتين من وراء مكة.^٢ وقد ذكرها الدمشقي في كتابه فقال: «ذاتِ عِرْقٍ؛ قرية بها عدَّةُ آبار، وماؤها قريب، تبعد عن (الشعراء) بأربعة منازل، وعن (مكة) بمنزِلين، وأرضها رملية، سهلة، إذا حُفِرَ فيها يخرج منها الماء».^٣

ويعتبرها أبو بكر بن بهرام الدمشقي أنها آخر محطة يقف عندها الحاجُّ الأحسائي قبل الدخول إلى مكة المكرمة، ف: «هي ميقات حجاج نجد»،^٤ ومن سلك طريقهم إلى البلد الحرام.

وقد جعلها رسول الله ﷺ ميقات أهل المشرق، فمن جابر الأنصاري عن رسول الله ﷺ أنه قال: «وُقِّتَ لأهل المشرق ذاتِ عِرْقٍ»،^٥ وفي حديث آخر بلفظٍ مغاير عن جابر أن النبي ﷺ قال: «وُقِّتَ لأهل العراق ذاتِ عِرْقٍ»،^٦ كما يروى الحديث ذاته عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ.

ومنها يدخل الحاجُّ إلى مكة المكرمة مُحْرماً وقد بلغ مراده ليبدأ بعدها بأداء مناسك الحجِّ.

ونلاحظ على ما ذكره الدمشقي الخطأ في ذكر الأسماء، إضافةً إلى إطلاق مسميات

١. المجاز بين اليمامة والحجاز، مصدر سابق: ٢١٦.

٢. م. ن.

٣. جزيرة العرب في كتاب مختصر الجغرافيا الكبير، مصدر سابق: ٢٣١.

٤. م. ن.: ٤٠٣.

٥. كتاب المناسك وأماكن طرق الحاج، مصدر سابق: ٣٤٧.

٦. م. ن.: ٣٤٨.



لم تكن مألوفة تاريخياً على تلك الأماكن.

وقد حاولنا خلال ماتمّ بسطه وعرضه أنفاً من معالم جغرافية لطريق الحاجّ الأحسائي أن نعرّفه غالباً من وجهة نظر الدمشقي، والذي يظهر أنه ممن سار على الطريق ووصفه وفقاً لمشاهداته العينية، وذلك في القرن الحادي عشر الهجري، وهذا يعطي صورة مختلفة عما كتبه الجغرافيان قبله كياقوت الحموي والهمداني لتقدّمهم عليه بقرونٍ عديدة، مما يمتثل على إثر ذلك تغيير المعالم ومشخصاتها نتيجة الفارق الزمني الكبير.

هذا ناهيك عن النظرة الشخصية للمؤرّخ الدمشقي، والتي تعدّ عنصراً مهماً للتعرف على بعض المعالم من خلال تجربته الخاصّة في السفر والترحال بعيداً عن النقل والأقوال المتضاربة كما لاحظنا في التعريفات المختلفة...

وللبحث صلة تأتي في العدد القادم إن شاء الله تعالى